الجمهوريـــة الجـزائـــريـــة الديمقــراطيـــة الشعبـــيـــة

وزارة التعلــيـــم العـــالي والبحــث العلمـــي

جامعة وهـــــــران -السانيا

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية

بعنـــوان

إمارة بني توجين بالونشريس
خلال القرنين (7-8هـ/13-14م)
من خلال كتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون

من إعداد الطالبة :

بورملة عربية

إشراف الأستاذ الدكتور :

محمد بن معمـــــر

أعضاء اللجنة

أ.د عبد المجيد بن نعمية	رئيسا	جامعة وهران
أ.د محمد بن معمـــــر	مشرفا	جامعة وهران
أ.د جهيدة بوجمعـــــة	عضوا	جامعة وهران
د. سلميان بوعصبانة عمر	عضوا	جامعة وهران

السنة الجامعية 1430-1431 هـ/ 2009-2010 م


بسم الله الرحمن الرحيم

دعـــــــاء

"رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين"

الإهـــــداء

للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

إلى اللذين أحسنا تربيتي وبذلا جهدا في خدمتي والدتي العزيزة أسأل الله أن يحفظها ويبارك في عمرها.

ووالدي الفاضل رعاه الله في الدنيا وحفظه وأكرمه في الآخرة بمنّه وحفظه.

إلى من هم سندي في هذه الحياة إخوتي، خثير، مراد، فتحي، محمد

وإلى زهور العائلة وينابيعها أخواتي

حسينة، عائشة، آمال، أمينة

إلى أختي في الله التي لم تلدها أمي فاطمة عمارة.

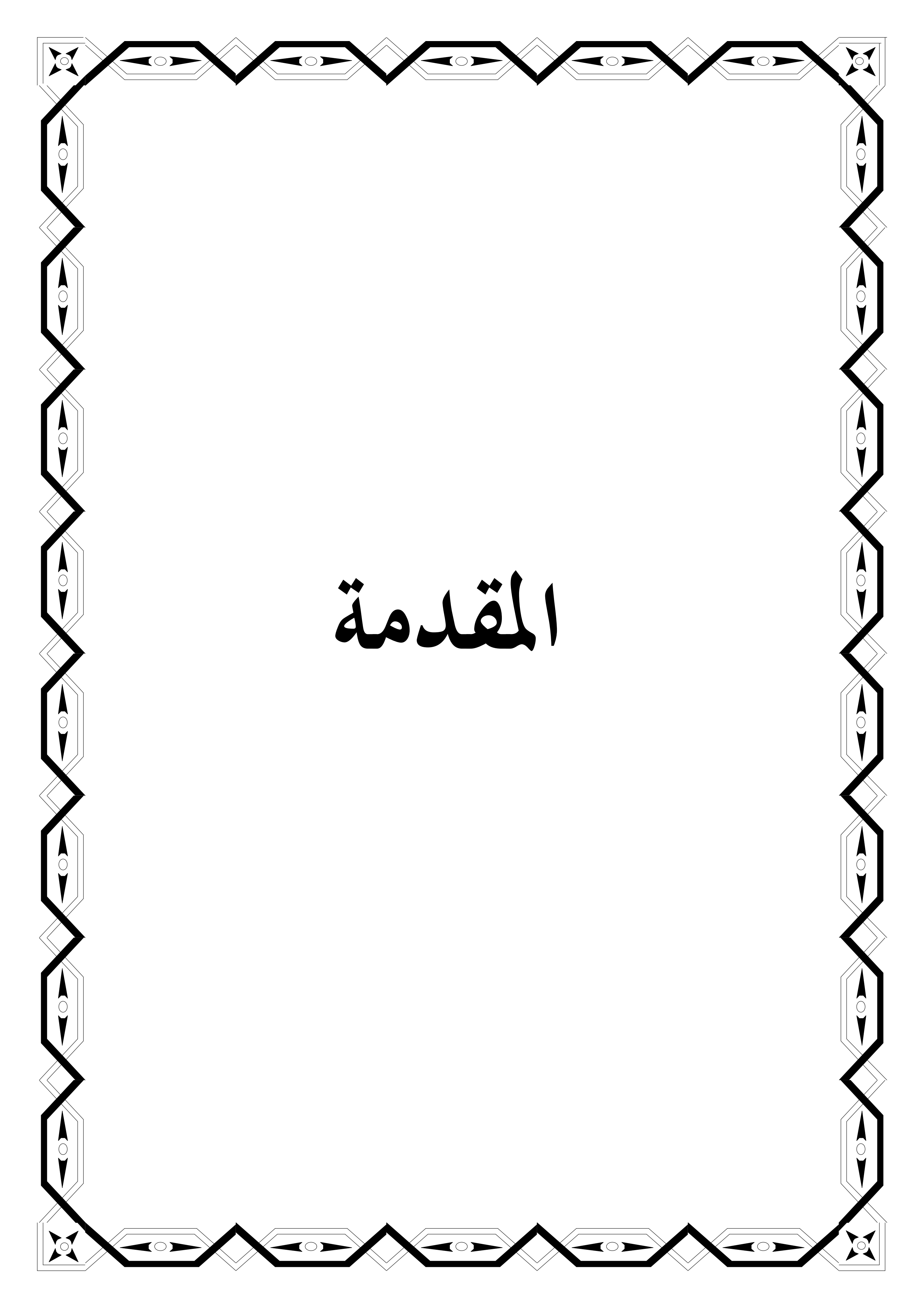
ومن جمعتني بهم أجمل الصداقة: مريم، رشيدة، الحمراء، سعاد، خديجة.

وإلى كل الطاقم التربوي لمؤسسة أول نوفمبر 1954 مهدية، وعلى رأسهم السيد المدير معتوق بن يعقوب، الأستاذ شامي خالد، الأستاذة بنت النبي محمود، الأستاذة فاطمة دقيوس.

وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد ولو بالكلمة الطيبة.

الشكـــــر

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه مالم يكن يعلم وله الشكر
كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.
أتقدم بالشكر إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور "محمـــد بـــن معمـــر" الذي لم
يألوا جهدا بكل ما أوتي، فله جزيل الشكر وجميل العرفان
والشكر موصولا إلى السادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا
وقبلوا مناقشة هذا البحث وتصويب ما فيه من أخطاء.
كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى أساتذة قسم التاريخ والحضارة الإسلامية
وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور عبد المجيد بن نعمية.
كما لا يفوتني أن أشكر جميع أعوان المكتبات على تقديم المساعدات والتسهيلات
وفي مقدمتهم أعوان مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية –وهران–
وإلى كل من الأساتذة آمال لدرع بجامعة قسنطينة، الأستاذ شتوان لعرج.
أسأل الله العظيم أن يجازي الجميع عني خير الجزاء.



المقدمة

المقدمة:

أدت قبائل المغرب الأوسط أدوارا مختلفة ومتباينة في ثبات دول وكيانات المغرب الإسلامي واستقرارها وسقوطها وعلاقاتها السياسية والديبلوماسية، فكان من بينها قبيلة بني توجين محل هذه الدراسة وكيف وصلت إلى مناصب السلطة والنفوذ مع بداية القرن السابع الهجري–الثالث عشر ميلادي وتمكنها من منافسة كل من بني عبد الواد وبني مرين في اقتطاع الملك وتأسيسهم بدورهم للإمارة، فشغلت حيّزا جغرافيا ضمن أقاليم المغرب الأوسط.

ليس الهدف من وراء هذه الدراسة استعراض المسار التاريخي لهذه الإمارة وتتبع أطوارها فحسب، بل تعدى ذلك إلى إبراز الدور السياسي الذي مارسته هذه الإمارة في ظل الصراعات التي شهدها المغرب الإسلامي خلال القرون الأخيرة من العصر الوسيط.

وعليه فقد وسمت هذه الدراسة بـــ"**إمارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين 7–8 هجري/ 13–14 ميلادي من كتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون**"، هذه الدراسة التي تهدف إلى سد ثغرة من ثغرات تاريخ الجزائر خاصة التاريخ الإسلامي منه إذ نجد هناك إطناب المؤرخين في حديثهم عن الكيانات السياسية ذات الوزن الأقوى كدولة بني مرين وبني زيان، وفي المقابل نلمس صمتهم عن باقي القبائل التي كان لها الدور في تفعيل الأحداث ومقاسمة الملك مع هذه الكيانات.

وقد حصرت هذه الدراسة "**من خلال كتاب العبر لعبد الرحمن ابن خلدون**" الذي أنصف وأبدع في تاريخ المغرب وتبيّن أمجاده، فأحبّ أن يسجل ما انتهى إليه جهده بكل نزاهة وموضوعية.

كما أن ابن خلدون يعتبر شاهد عيان على مراحل تطور هذه الإمارة، وقد خصّص لها فصلا كاملا في موسوعته الضخمة وتتبع فيه هذا التطور، وعلى الرغم أنه أعطى لصفة هذا الملك والسلطة والنفوذ بسمة الدولة فعنونه بـــ"الخبر

عن بني توجين من شعوب بني بادين من أهل هذه الطبقة الثالثة من زناتة وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب الأوسط" ذلك أن التفسير الخلدوني للدولة[1] يعني به الدولة الكلية والتي نصطلح عليها بمفهوم الإمارة. وإن المتتبع الفاحص للخريطة السياسية ما بعد الموحدين يلمح مدى الاختلاف في طبيعة هذه الكيانات السياسية التي تتأرجح ما بين القوة والضعف من خلال امتدادها أو انحصارها في الرقعة الجغرافية، بالإضافة إلى حجم التفاعل السياسي والحضاري الذي أحدثته كل منها.

ومما زاد دفعي للخوض في هذه الدراسة هو مقال الباحث المهدي البوعبدلي –رحمه الله– المنشور في مجلة الأصالة والمتمحور حول تطور هذه الإمارة ودور منطقة الونشريس خلال هذه الفترة، فضلا عن ذلك لم أجد دراسة مستقلة وشاملة تحيط بتاريخها ودورها.

وعلى الرغم من أهمية الموضوع، فإنه لم يحض بعناية الباحثين دراسة شاملة كما حظيت به الدول القائمة آنذاك كدولة بني زيان والدولة المرينية والحفصية، باستثناء تلك المقالات المحدودة المعلومات والتفاصيل، إلا أنها قد أرشدتني إلى طرح إشكالات أكثر حول هذا الموضوع، وعلى وجه التحديد عن أصول هذه القبيلة، وعن سبب تأخر ظهورها في الساحة السياسية إلا مع بداية القرن السابع الهجري، وكذا عن الظروف والدوافع التي مكنّت هذه القبيلة من تأسيس الإمارة ضمن أحد أقاليم المغرب الأوسط، هذا فضلا عما كان يستدعي البحث والتنقيب عن أسباب تغير وتشتت ولائها الذي يعكس السياسية الخارجية

---

(1) الدولة في اصطلاح ابن خلدون هي على العموم "الامتداد الزماني والمكاني لحكم عصبية ما"، فمن حيث الامتداد في المكان تكون الدولة عامة أو خاصة. ومن حيث الامتداد في المكان فهي إما دولة شخصية أو دولة كلية، هذه الأخيرة التي تعني مدة عصبية من العصبيات، التي يتعاقب فيها الملوك واحدا تلوى الآخر، إنها حكم أسرة معينة منذ استقلالها بالحكم إلى يوم خروجها منه، وهي التي يعنيها بدولة بني توجين. أنظر: محمد عابد الجابري، العصبية والدولة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الخامسة، 1992، ص211–216.

لهذه الإمارة، كما حاولت الاستكشاف عن مدى تأثير الأوضاع السياسية والبيئة الجغرافية للإمارة في ترك بصمتها في الجانب الحضاري.

وفي طريقي للإجابة على التساؤلات قد واجهتني عدة صعوبات أهمها قلة المادة التاريخية التي تتحدث عن هذه الإمارة ومراحل نشأتها وبالأخص ما تعلق بالكيان الداخلي لها وسياسة أمرائها في تسيير شؤونها الداخلية، وأيضا ما اتصل بالإمارة وحدودها الجغرافية ذلك أن أهلها لا يؤمنون بالحدود السياسية وفواصلها وأن النظام القبلي القائم على حياة الترحال هو عصب الحياة الاجتماعية والسياسية لذا فقد ظلت حدودا مائعة غير ثابتة.

ورغم هذه الصعوبات فقد تجاوزت ذلك إلى بناء هيكل أكاديمي لهذه الدراسة تتصدره **مقدمة** ويليها **مدخل** الذي تطرقت فيه للتعريف ببني توجين من حيث النسب وفروع قبائلها التي تفرعت عنها كما تتبعت منازلهم، ومسارهم السياسي قبل القرن السابع الهجري إذ بقيت قبيلة مغلوبة للدول القائمة آنذاك.

ثم يلي ذلك **الفصل الأول** الذي عنونته "**بإمارة بني توجين بين الدوافع والتأسيس**"، فحاولت فيه الإلمام بظروف ودوافع قيامها، ذلك أن الفترة الزمنية التي نشأت فيها الإمارة تميزت بالتقلب والاضطراب بسبب انهيار الخلافة الموحدية وتقسيم إرثها إلى ثلاث كيانات سياسية مستقلة بالمغرب الإسلامي، فكان لبني توجين نصيب من هذا الإرث في بلاد المغرب الأوسط ومقاسمته مع بني زيان، فتمكّنوا بدورهم من الاستقلال بجبال الونشريس وضواحيه، وقياسا على الهرم الخلدوني فإن هذه الإمارة قد مرت بمرحلة النشأة والتأسيس بعد تغلب عبد القوي على الضواحي واستيلائه على المدن، لتشهد بعد ذلك طور الإزدهار والتوسع بعد تولي ابنه محمد بن عبد القوي الذي كان له إنجازات توسعية ضمن أقاليم المغرب الأوسط عرفت إمارته خلال هذا الطور فترات أمن واستقرار وهذا بفضل السياسة التي انتهجها في تفعيل ديناميكية الحياة السياسية لدول المغرب الإسلامي، وبمجرد وفاة هذا الأمير دخلت الإمارة فترة الفتن والانقسامات بعد

تنازع بني عبد القوي على الرئاسة، فأوجدوا بذلك ثغرة للأعداء، اشتدت فيها الأخطار الخارجية من بني زيان تارة وبني مرين تارة أخرى، ففقدوا خلالها أهم المدن والحصون وتفرقت فيها العصائب وانحصر ملكهم بجبال الونشريس.

بينما خصصت **الفصل الثاني** لـــ: "**الدور السياسي للإمارة وبعض جوانبها الحضارية**"، المتمثل في السياسة الخارجية التي انتهجها أمراء بني توجين مع الكيانات السياسية القائمة ومدى تأثيرها في الصراعات التي كانت سائدة بين هذه الدول، ثم تطرقت بعدها إلى ذكر جوانب حضارية لهذه الإمارة التي تحكمت فيها البيئة الجغرافية والتركيبة السكانية.

لينتهي هذا البحث بخاتمة تم فيها استخلاص جملة من النتائج حول الموضوع.

وقد اعتمدت في تحرير هذه المادة على المنهج الوصفي التحليلي القائم على التحليل والتعليل واستقراء النصوص وتفسير الأحداث ومناقشتها وفق رؤية علمية نزيهة.

أما عن مصادر البحث فإن عنوان الموضوع يفرض بالضرورة الانطلاق والقاعدة تكون من الموسوعة الضخمة لأبي زيد عبد الرحمن بن خلدون (المتوفى 808هـــ/1406م) في كتابه "**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذي السلطان الأكبر**" والصادر عن دار الكتاب المصري القاهرة دار الكتاب اللبناني بيروت سنة 1418هـــ/1998م، إذ يعتبر هذا الكتاب من أهم ما ألف في تاريخ العرب والعجم والبربر منذ الخليقة إلى عصر المؤلف، فهو عبارة عن موسوعة تاريخية كبيرة. خصص ابن خلدون الأجزاء الثلاثة الأخيرة 11-12-13 لدراسة الأصول البربرية وأنسابهم وقبائلهم وبطونهم وأفخاذ هذه القبائل ومواطنها، إضافة إلى الدول التي أسستها أجيال البربر جيلا بعد جيل في بلاد المغرب فأصبح المصدر الأول في مثل هذه المواضيع والدراسات، وعليه كان اعتمادي على الجزء الثالث عشر الذي اختصه

في "الخبر عن زناتة من قبائل البربر وما كان بين أجيالهم من العز والظهر وما تعاقب فيهم من الدول القديمة والحديثة"، وفي أحد فصوله ذكر لدولة بني توجين فجمعت في أربعة وعشرين صفحة بالنسبة لهذه الطبعة، ففصل في أخبارهم وما كان لهم من الملك والدولة مع لمّ الشذرات وسد الفراغات التي جمعت في تفاصيل ذكر الدويلات الثلاث الحفصية في الجزء الثاني عشر والمرينية والزيانية في الجزء الثالث عشر كما تم الاعتماد على الجزء الحادي عشر الذي تطرق فيه ابن خلدون إلى ذكر العرب المستعجمة وما كان لهم من آثار وعلاقات الجوار مع بني توجين.

هذا ولم أكتف بهذا الكتاب فرحت أتصفح كل مصادر هذه الفترة أيضا بعد الموحدين سواء المؤرخة للبلاط الزياني ككتاب **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد** ليحيى ابن خلون (أبو زكريا) المتوفى 780هـ/1378م هذا الكتاب الذي أمدنا في جزئيه بمادة إخبارية دقيقة عن بني عبد الواد وسياستهم في محاولة إخضاع بني توجين ومغراوة على اعتبار أنهم القبائل المشاقة والمعارضة لهم يصف فيها الحملات العسكرية لسلاطين الدولة الزيانية على بلاد بني توجين في محاولة إخضاعهم للسلطة وبسط النفوذ على كامل أقاليم المغرب الأوسط. أما عن **كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان** لصاحبه محمد بن عبد الله التنسي (المتوفى 899هـ/900م) فإنه يعتبر أحد الأركان الثلاثة التي يعتمد عليها الباحث في تاريخ الدولة الزيانية والمغرب الأوسط بصفة عامة، إلا أنه أقل أهمية عن كتابي الأخوين يحيى وعبد الرحمن وابن خلدون، وهذا لأنه ينقل عنهما.

وعن التآليف الخاصة للدولة المرينية فأول من يذكر من مؤرخي الدولة علي بن أبي زرع الفاسي (ت741هـ/1340م) الذي ألف كتابه **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** الذي كان معاصرا لدولة بني مرين وتولى الكتابة لأبي سعيد عثمان المريني (719-731هـ) أفادني

في وصف التحالف التوجيني-المريني وما ألحقاه بدولة بني زيان وتخريب تلمسان العاصمة.

ومن المصادر الهامة التي أمدت البحث بمعلومات قيمة كتاب "**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**" لابن عذارى المراكشي، وقد اعتمدت على الأجزاء الأول والثاني والثالث ثم قسم الموحدين فأفاد البحث بمادة قيمة عن دخول بني توجين تلول المغرب الأوسط وتدرجهم في اقتطاع الملك وبسط النفوذ، وكذا الصراع الثلاثي (المريني-الموحدي- الزياني) الذي انعكست مظاهره على الإمارة ودورها في ظل هذا الصراع.

أما عن مؤرخي الدولة الحفصية فاعتمدت في البحث على كتاب "**الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية** لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن قنفد القسنطيني المتوفي 810هـ، وكتاب "**تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**" للزركشي المتوفى 894هـ/1488م عدا كتاب "**الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**" لابن الشماع، هذه المصادر الحفصية التي تمدنا بالتفاصيل حول علاقة الإمارة ببني حفص خاصة ما اتصل فيها بمشاركة بني توجين للحملة الصليبية على تونس سنة 668هـ .

وكتب الجغرافيا والرحلات فكان الاعتماد على كتاب **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب** الذي هو جزء من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري المتوفي (ت487هـ/1084م) وقد أفادنا هذا الكتاب في التعرف على طبيعة الأراضي التي كانت تابعة بني توجين وسبب اختيار بني توجين لهذه الأراضي خصوصا أنها لم تتغير كثيرا في العصور اللاحقة بعد عصر البكري.

كما استثمرنا كتاب **نزهة المشتاق في اختيار الآفاق** للشريف الإدريسي المتوفي (ت560هـ/1164م) الذي حدد لنا مواقع مهمة للحصون وبعض القلاع، و كتاب حسن الوزّان في كتابه **وصف إفريقيا** (المتوفى 956هـ) أثبت لنا بقاء

بني توجين ضمن معقلهم ومنبت عزهم بجبال الونشريس وكذا في بعض الجوانب الاقتصادية .

أما فيما يخص المراجع والدراسات فقد كان كتاب العصبية والدولة للدكتور محمد عابد الجابري في الدراسات الخلدونية أولى توجهاتي لما في الكتاب من أهمية بالغة في تحليل الفكر الخلدوني خاصة ما تعلق بالعمران والعصبية والملك وعلاقتهم بالدولة، فأرشدني إلى معاني بعض الاصطلاحات الخلدونية، إضافة إلى كتاب "**النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون**" لعبد المجيد مزيان الذي يشرح فيه تأثير البيئة الجغرافية والتركيبة البشرية في تطور العمران والمعاش في نظر ابن خلدون، بينما كان كتاب "**تاريخ الجزائر العام**" لعبد الرحمن الجيلالي من الكتب المهمة التي فصلت في تاريخ هذا القطر، فلم يدع أي دولة أو إمارة أو قبيلة كان لها أثر في مجرى التاريخ إلا وقد بحث ونقب وألم بجوانبه.

وكتاب "**النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي في القرن السادس الهجري**" للدكتور عز الدين عمر موسى الذي لم يدع بقعة من قطر المغرب الإسلامي إلا وحلل مواردها الطبيعية والبشرية وأثرها على النشاط الاقتصادي.

إضافة إلى كتاب Histoire des berbères "**تاريخ البربر**" لصاحبه دي سلان فقد اعتمد عليه في تحديد المواقع والحصون التابعة للإمارة ومجالها الجغرافي خاصة ما اندثر منها.



المدخل

نسب بني توجين و بطونهم

اختلف المؤرخون وكذا الرحّالة الجغرافيون في تسمية هذه القبيلة، فوردت بـــ:

– **توجين** بإثبات الواو بعد تاء مضمومة، وممن أثبتها بهذا الشكل كل من الأخوين عبد الرحمن ويحيى ابن خلدون، وكذا الرحالة الجغرافي ابن أبي سعيد المغربي الأندلسي وليون الإفريقي حسن الوزان.

– **تجين** أي بإسقاط الواو، فتلفظ بتاء وجيم مكسورتين وقد ذكرها بهذا اللفظ كل من التنسي وابن عذارى المراكشي وابن ابي زرع الفاسي وابن الأحمر، إضافة إلى الرحالة الجغرافي الإدريسي.

ويرى بعض النسَّابة المتأخرين كأبي راس الناصري صاحب كتاب عجائب الأسفار أن اختلاف التسمية راجع إلى اختلاف في النسب وأصول القبيلة[1]، فينسب "توجين" بإثبات الواو إلى النسب الشريف و"تجين" من زناتة[2].

وعليه فإن الشكل اللفظي الذي سنورده في هذه الدراسة بلفظ **توجين** على اعتبار أن كل من الأخوين يحيى وعبد الرحمن ابن خلدون كانا معاصرين للفترة التي ظهرت فيها الإمارة، وبالإضافة إلى أن يحيى ابن خلدون هو أحد مؤرخي البلاط الزياني، فهو شديد الاهتمام بتدوين كل ما يحيط بهذه الدولة وضبط أسماء

(1) أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق : محمد بوركبة ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ و الجضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ، قسم الحضارة الإسلامية ، 2008/2007 ، ص 422.

(2) زناتة هذا الشعب من أكبر شعوب البربر على الإطلاق تسلموا ذروة الملك والإمارة في الإسلام مرات عديدة وكانت مواطنهم الأصلية صحراء المغرب ما بين غدامس إلى وادي ساورة، ثم طلعت منهم جماعات إلى التل واستوطنت المغرب الأوسط وملأت سهوله وجباله فسمي وطن زناتة، فأصبحت تجوب ما بين وادي ملوية غربا إلى وادي شلف والزاب شرقا ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تيهرت جنوبا، وقد قسمها ابن خلدون إلى طبقتين؛ الأولى وتتمثل في مغراوة وبني يفرن خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين ثم لبني ومانو و يلومي من بعدهم، أما الطبقة الثانية فتتمثل في شعوب بني واسين والتي عرفت فيما بعد بني عبد الواد وبني توجين وبني برزال وبني مرين، أنظر: عبد الرحمان إبن خلدون ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في الأيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، القاهرة، دار الكتاب المصري ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، د.ط ، 1418 هــ / 1998 م ، مج 13، ص 15 و ما بعدها. مؤلف مجهول الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، حققه ، سهيل زكار و عبدالقادر زمامة ، الرباط ، دار الرشاد الحديثة
الطبعة الأولى ،1399هــ/1979م ، ص 139 . أبو راس الناصري ، المصدر نفسه ، ص 326 .

القبائل التي كانت لها علاقة ببني عبد الواد، كما نجد أن العلامة ابن خلدون قد نقل عن النسابة البربر وقد أولى اهتماما بالغا في ضبط أسماء القبائل بالحرف والحركة.

فبنو توجين أحد بطون بني بادين بن محمد من ولد زحيك بن واسين بن يصلتن بن مسرا بن زاكيا بن وارديرن بن ورسيك بن الديرت بن جانا بن زناتة[1].

هذا وقد حاول بنو توجين أن يضفوا على نسبهم هالة من التكريم فرفع بنو عبد القوي بن العباس بن توجين نسبهم إلى العبّاس بن عبد المطلب رغبة في هذا النسب الشريف، وغلطا باسم العبّاس بن عطية، فأنكر عليهم ذلك ابن خلدون في مقدمته[2] ، كما ربط الشيخ أبو مهدي عيسى بن موسى التيجيني نسبهم من نسل العباس إبن مرداس السلمي نسبة لسليم أحد قبائل مضر بن فزار بن معد بن عدنان[3] .

وكان بنو توجين هؤلاء يمثلون قسما قويا له عراقته وسطوته بين قبائل زناتة، فيعدهم ابن خلدون في المرتبة الثالثة ضمن شعوب الطبقة الثالثة من زناتة بعد بني مرين وبني عبد الواد من حيث العدد والسلطان والملك[4].

وفي ذكر بطون هذه القبيلة فإننا نجد أنفسنا نعتمد ونستقي هذه المادة من خلال ما أورده ابن خلدون في موسوعته التاريخية باعتباره الوحيد الذي خصص لها قسما ذكر فيه كل ما يتعلق بهذه القبيلة وذكر بطونها.

---

(1) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة وضبط أعلامه نخبة من العلماء بإشراف الناشر، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، 1418هـ/1998م، ص495-498. ابن خلدون، العبر، مج 13، ص11. عيسى بن موسى التيجيني، كتاب شرح المنظومة المسماة بغية الطالب، ومن كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب للشيخ بلهاشمي بن بكار، شرحها محمد الأعرج الغريسي الفاسي الجزائر ،مطبعة ابن خلدون ، 1384هـ/1961 م، ص 359 .

(2) ابن خلدون، المقدمة، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الأولى ، 2000 ، ص133.

(3) أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي ، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط ، تحقيق : ناصر الدين سعيدوني ، بيروت دار الغرب الإسلامي ، د.ط ، 2000 ، ص 74 .

(4) ابن خلدون، العبر، مج 13، ص121.

تنقسم القبيلة إلى فرعين هما: بنو مدن وبنو رسوغين، ويدخل ضمنهما أشهر بطون بني توجين، فتضم بنو مدن كل من بني يدللتن، بني نمزي، بني مادون، بني زنداك، بني واسيل وبني قاضي وبني مامت[1]، وقد كان بنو يدللتن من أبرز قبائل هذا الفرع[2] الذين تمكنوا من أن يمارسوا دورا فعّالا خلال أطوار هذه الإمارة.

أما بنو رسوغين فقد تفرغ عنهم كل من بني منكوش، وبني تيغرين وبني يرناتن، فاحتل بنو تيغرين المكانة الخاصة والقريبة لدى أمراء[3] بني توجين فأحسنوا استغلال هذه المكانة وكانوا أول المنقلبين على السلطة الحاكمة والآخذين بزمام الرئاسة بعدهم.

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج13، ص320.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج13، ص321.
(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص320-321.

- منازلهم بالمغرب الأوسط :

وفي تحديد منازل قبيلة من قبائل المغرب هو من الأمور الصعبة التي تعترض الباحث وهذا راجع للظروف والتطورات التي كانت تطرأ على بلاد المغرب الإسلامي من جهة وكذا لطبيعة السكان الموسومين بطابع البداوة من جهة أخرى المتميز وبحياة التنقل والترحال(1)، وأكثر هذه القبائل بداوة هم الزناتيون(2)، وقبيلة بني توجين هي إحدى هذه القبائل الزناتية التي سكنت المغرب الأوسط(3) فكانت مواطنهم الأولى خلال القرن الرابع الهجري-العاشر ميلادي جنوب الونشريس إلى غاية نهر واصل(4) فهي تشمل الجزء الشمالي من مرتفعات السرسو، بينما الجهة الغربية من هذه الأرض فقد كانت تسكنه قبلا قبائل لواتة(5)، ثم صارت بعدها لقبيلتي وجديجن(6)

---

(1) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تحقيق : عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، المكتبة الوطنية ، د.ط 1980 ، ج1، ص179.

(2) إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1998، ص24.

(3) المغرب الأوسط: إقليم يتوسط المغربين الأدنى شرقا والأقصى غربا، فأما حدوده الغربية فواضحة المعالم وهي نهر ملوية وبلاد تازا، أما حدوده الشرقية فهي حدود مطاطية لا تخضع لحاجز طبيعي يعتمد عليه في التقسيم، وعلى الأرجح ما وراء نهر شلف شرقا، وأشهر مدنه عند الجغرافيين العرب تاهرت عاصمة الدولة الرستمية في الشرق، وتلمسان في الغرب، أنظر: الإصطخري، المسالك والممالك تحقيق محمد جابر عبد الله و محمد شفيق غربال ، القاهر ، دار القلم ، د.ط 1961 ص36. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، القاهر ، دار الكتاب الإسلامي ، د.ط، د.ت ص66. – الحميري، الروض المعطار، في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، الطبعة الثانية ، 1984 م ، ص126-135. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة و المدينة و مصر وبلاد المغرب ، نشر و تعليق : سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، د.ط ، 1968 ، ص176. محمد بن معمر: العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربيين الأوسط والأقصى من نهاية القرن الثاني إلى أواسط القرن السادس الهجريين، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ قسم التاريخ، جامعة وهران، 2001-2002، ص11-12.

(4) نهر واصل: أحد فروع وادي شلف وهو يربط حاليا بين ولاية تسمسيلت وجزء من ولاية تيارت.

(5) لواتة: قبائل بربرية متفرقة، قسم منهم ببرقة، وآخر بجبال الأوراس والقسم الثالث منهم جنوب تاهرت، وكانت لهم حروب مع مطاطة ووجديجن، فأزاحوهم إلى الجبال المطلة على متيجة، ثم صاروا في عداد القبائل الغارمة لعرب العطاف من زغبة، أنظر، مج 11 ص234 وما بعدها.

(6) وجديجن: تنتسب هذه القبيلة إلى زنانة وكانت تجاور كل من بني يفرن من العرب ولواتة في إقليم السرسو من الجنوب ومطماطة بالونشريس من الشرق، موطنهم بمنداس، وكانت لهم حروب مع بني يلومي وبني ومانو وبني توجين الذين أخرجوهم من إقليم السرسو. أنظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج 13، ص103. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية ، الطبعة السابعة، 1415 هـ /1991 ، ج2، ص13. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، الجزائر ، دار موفم للنشر و التوزيع ، د.ط ، ج1، ص33.

ومطماطة[1] إلا أنه استطاعت بعدها قبيلة بني توجين من انتزاع سهل السرسو واقتطاعه لنفسها وضمه إلى مناطقها الشمالية، فصارت مواطـن بني توجيـن كما يصفها لنا ابن خلدون ما بين جبل دراك[2] وبين مواطن بني راشد[3].

إلا أن مواطنهم هذه لم تكن ثابتة إذ كانت تتحكم فيها ظروف خارجية وعوامل داخلية ونذكر منها:

أ- أما العوامل الداخلية فراجع إلى الطابع البدوي للقبيلة الذي يعتمد على حياة التنقل والترحال ما بين الصحاري والتلول، وقد فرض عليهم التوغل جنوب مواطنهم التلية فكانوا ينزلون في الشتاء إلى نواحي الزاب[4] ومصاب[5] اتقاءا لبرودة التل وكذا لرعي إبلهم وغنمهم.

ب- في حين أن الأحداث السياسية التي كانت تجري على أرض المغرب الأوسط بصفة خاصة وبلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة هي التي كانت تتحكم

(1) مطماطة: كانت هذه القبيلة تقطن بجبل كركرة بتيهرت، وعندما تغلب عليهم مغراوة انتقلوا إلى الجبل المطل على متيجة. ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 12، ص250 وما بعدها.

(2) جبل دراك (دراق): جبل يقع في شمال السرسو بين بوقارة وثنية الحد حاليا، أنظر:

- Le Baron Deslame, Histoire des berbères, Paris, librairie orientaliste, 1982, p501.

(3) بنو راشد: وهم إخوة بنو توجين وبنو عبد الواد وبنو زردال ومصاب كانوا يقطنون بالجبل المسمى باسمهم جبل بني راشد (جبل عمور حاليا) كما كان فريق منهم يسكن المواطن الواقعة ما بين وادي مينا ووادي السيق وقاموا ببناء القلعة التي تنسب إليهم وهي قلعة بني راشد وأغلب الظن أن ابن خلدون يقصد "مواطن بني راشد" أي مواطنهم تلك التي تغلبو عليها و إفتكوها من مديونة و بني ورنيد و هي تمتد ما بين أعالي شلف إلى تسالة من قبلة تلمسان ، و من سهول غريس حيث مدينة معسكر و ينتهي جهة الجنوب إلى قلعة سعيدة و وادي تلاغ و من جهة الشمال إلى جبل هوارة المطل على بسيط سيق الأولى بجبل عمور لأن مواطنهم الجديدة لم يقطنوها مع بداية القرن السابع هجري. ابن خلدون، العبر، مج 13، ص315 وما بعدها. السليماني أبو عبد الله الأعرج ، تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية و نهاية ثورة الامير عبد القادر عن كتاب الشماريخ ، تحقيق : حساني مختار ، الجزائر ، المكتبة الوطنية، د.ط ، د.ت ، ص 107 .

- Marçais (G), les arabes en berbéris, de XI au XIV siècle , Ernest Leroux ; paris , brahme , édition ,pp 581.

(4) بلاد الزاب: منطقة سهلية واقعة بين أولاد نايل غربا وجبال أوراس شرقا و بها المياة السائحة والأنهار والعيون الكثيرة، ومن مدنها المسيلة، والدوسن، طبنة، وبسكرة وتهودة، مقرة. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 281. شمس الدين المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق ووضع حواشيه محمد أمين الضناوي، بيروت دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1424 هـ / 2003 م ، ص181. حسن الوزان، وصف إفريقيا ترجمة : محمد حجي و محمد الأخضر، بيروت دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الثانية، 1983 ج2، ص138-139.

(5) مصاب: أو (مزاب) وهي منطقة صحراوية تبعد بنحو 600 كلم جنوب البحر، وبها قصور وعدة قورى، وقد انتزى إليها الخوارج الإباضية واتخذوا من جبالها ملجأ لهم وحصنا منيعا، وبها مدن أشهرها غرداية. حسن الوزان، المصدر نفسه ، ج2، ص134.

في مواطن بني توجين، إذا كانت السيادة الصنهاجية البرنسية سائدة خلال هذه العصور أي حتى القرن السادس الهجري- الثاني عشر ميلادي إضافة إلى تغلب زناتة، الطبقة الأولى المتمثلة في قبيلة مغراوة وبني يفرن(1) ومن تبعهم في الملك من بني يلومي(2) وبني ومانو(3).

ولم تعد تلك المناطق التلية لهم بعد بروز كل من بني يلومي وبني ومانو إذ امتلكوا البسائط من هذه المناطق ودفعوا ببني توجين إلى صحراء المغرب الأوسط، ضمن شعوب بني بادين إلى ما بين الزاب ونهر ملوية(4)، ليأتي بعد ذلك عرب بني هلال وأزاحوا شعوب بني واسين عامة عن الزاب إلى مواطنهم بصحراء المغرب الأوسط من مصاب وجبل راشد إلى ملوية وفيكيك(5) وبذلك فقد فقد ظل بنو توجين بمواطنهم الصحراوية إلى أن ظهر أمر الموحدين ودخلوا في خدمتهم، فاستطاعوا بذلك دخول التلول والعودة إلى مواطنهم الأولى بعد أن تغلبوا على بني ومانو.

وإذ يثبت الرحّالة الجغرافي الإدريسي (المتوفى 560هـ) وهو يصف لنا الطريق من تلمسان إلى تاهرت "وبين مدينة تلمسان وتاهرت يسكن بنو مرين وورتطغير وورينة وومانو وومانو وسنجاسة وغمرة ويلومان وورماكسين وتجين

---

(1) بنو يفرن: من أهل الطبقة الأولى من زناتة التي كان لهم ملك بالمغرب الأوسط على يد أبي قرة اليفرني سنة 148هـ/757م، ثم أبو يزيد صاحب الحمار سنة 332هـ/943م ومواطنهم نواحي تلمسان إلى جبل راشد، أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص22 وما بعدها.

(2) بنو يلومي: من القبائل الزناتية التي تولت زمام الملك بعد أفول نجم مغراوة وبني يفرن وقد استقروا على الضفة الغربية لوادي مينا والبطحاء والسيق، وسيرات وجبل هوارة، وجبل بني راشد. أنظر: ابن خلدون، العبر، مج 13، ص114 وما بعدها.

(3) بنو ومانو: نافسوا بني يلومي في المواطف فتحالفوا معهم واستوطنوا في شرقي وادي مينا بمنداس وأسفل الشلف، ومع نهاية القرن الخامس الهجري تمكنت شعوب واسين من إزاحة بني يلومي وبني ومانو عن مواطنهم التلية وصاروا في عداد القبائل الغارمة. أنظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص144.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص127.

(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص128.

فكيك أو فجيج: واحة من واحات النخيل لا تبعد كثيرا عن مدينة ونيفن ولاية بشار تقع على الحدود المغربية الجزائرية، وهي عبارة عن قصور في وسط الصحراء، أنظر حسن الوزان ، المصدر السابق ج2، ص132. مؤلف مجهول، الاستبصار ص179.

ومغراوة وراشد... وكل هذه القبائل بطون زناتة، وهم أصحاب هذه الفحوص"[1].

ومع مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي، بعد أن وهن عضد الدولة الموحدية، وإثر الامتيازات المخولة لبني توجين والاقطاعات التي تغلبوا عليها، استطاع بنو توجين من خلالها توسيع رقعة بلادهم في الاتجاهات الثلاث، الشمالية منها بالاستحواذ على جبال الونشريس[2]، والشرقية بأن غلبوا على ألمدية[3] وتيطري وهي مواطن لمغراوة، وجنوبا بأن وضعوا أقدامهم في بلاد الزاب[4]، أما من الناحية الغربية فلم يتمكن بنو توجين من تجاوز كل من السيك والبطحاء التي كانت تخوما لبني عبد الواد[5]، وهذا أقصى اتساع بلغته هذه القبيلة القبيلة بعد تأسيسهم للإمارة متخذين من جبال الونشريس مقرّ إمارتهم [6].

(1) الشريف الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق : محمد حاج صادق الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ،د.ط ، 1983، ص158.

(2) جبال الونشريس: وتسمى عين الدنيا، وهي دلالة على قمة ارتفاعها والتي تبلغ حوالي 1985م، ويضبطها ياقوت الحموي بالنون وشنين معجمتين وراء بينهما ثم ياء، وقد أهملنا ألف المد بعد الواد لتقلها وأثبتناها بالونشريس، وهي تشكل كتلة جبلية تمتد من حوض شلف شمالا إلى قرب تاهرت إذ يبلغ طول هذه السلسلة أربعة أيام، تحدها من الشرق جبال تيطري وغربا جبال سعيدة والتي يفصلها عنها وادي مينا. ينظر: شهاب الدين ياقوت الحميري، معجم البلدان، قدمه محمد عبد الرحمن المرشلي، بيروت، دار حياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، د.ط، 146هـ/1996م، مج4، ص600. حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص45، 46. يحي بو عزيز ، المقاومة في جبال الونشريس و جبال الظهرة ضد الإستعمار ، الأصالة ، الجزائر وزارة الشؤون الدينية ، 1400 هـ/1980 م ، العدد 83/84 ، ص 2-3 .

(3) المدية: مدينة قديمة بناها الأفارقة، فخربت وجدد بناءها بلكين بن زيري، وسميت كذلك نسبة إلى سكانها الذين يسموا باسم قبيلة لمدية الصنهاجية، وهي تقع في سهل خصيب جدا، بها البساتين والمزارع الكثيرة، وتبعد حاليا عن الجزائر العاصمة 90 كلم. أنظر: البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، ص65. حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص41. مرمول كربخال، إفريقية، ج2، ص373.

(4) ابن خلدون، العبر، مج 13، ص324.

(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص179.

(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص324. السليمان الأعرج ، المرجع السابق ص 122 .

ظهور قبيلة بني توجين على مسرح الأحداث:

عرف المغرب الأوسط مع بداية القرن الرابع الهجري-العاشر ميلادي ظهور جيل جديد من بناة الدول المغاربة سواء أولئك الذين بقوا على ولائهم للفاطميين كبني زيري الصنهاجيين، أو من الزناتيين الذين عارضوهم ورفضوا وجودهم[1] إذ استجد الصراع الصنهاجي- الزناتي على صورته الأعنف لأنه أصبح صراعا من أجل السلطة، فقد تتبع آل زيري بن مناد آثار زناتة منذ كانوا تحت الولاية الفاطمية من خلال حملات بلكين بن زيري الكبرى[2]، والتي وصل فيها إلى المغرب الأقصى أبعد فيها زناتة عن المغرب الأوسط وأقصاها إلى ما بين ملوية وطنجة[3]، ليتكفل حماد بن بلكين مهمة تجريد هذا القطر من زناتة بعد أن عقد له أخوه المنصور على أشير 387هـ/988م، وإثر هذا النجاح الذي حققه حماد وبامتلاكه لأهم مراكز المغرب الأوسط تاهرت، أشير والقلعة التي بناها بالمسيلة 398هـ-، بات من الواضح أنه سائر نحو الاستقلال بالمغرب الأوسط عن ابن أخيه باديس بإفريقية، وأمام هذا التقدم وتحت عوامل الحسد والوشاية في صدور أعدائه عند ابن أخيه باديس[4]. فما كان على باديس إلاّ أن كتب إلى عمه حماد[5] ن يتخلى عن قسنطينة وتيجس، فرفض حماد ذلك وأسقط دعوة العبيديين

(1) محمد بن معمر، زيري بن عطية المغراوي ومشروع الدولة الزناتية في المغرب الأوسط والأقصى، مجلة العصور، ديسمبر 2003م- جوان 2004م، 1424-1425هـ، عدد 4-5 ، ص149.

(2) بلكين بن زيري، أول ملوك الدولة الصنهاجية بإفريقية والمغرب الأوسط الذي حكم (362هـ-973/374-984م)، أنظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب تحقيق : ج س. كولان وليفي بروفنسال، بيروت دار الثقافة، الطبعة الثانية، 1983م، ج1، ص140 وما بعدها. ابن خلدون، المصر السابق، مج 11، ص317 وما بعدها. وعن حروب وحملات بكلين بن زيري في المغرب، ينظر: ابن عذارى، المصدر نفسه، ج1، ص238. ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 11، ص318-319.

(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 11، ص320-321.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 11، ص349-350. أنظر: رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 1397-1977، ص20-21.

(5) حماد بن بلكين بن زيري: مؤسس الدولة الحمادية التي انفصلت عن الدولة الزيرية الصنهاجية، بعدما استقل حماد وبنيه بعده بملك المغرب الأوسط سنة 405 هـ/1014م، وعاصمتها القلعة التي بناها حماد سنة 398 هـ/1007م، ثم بجاية سنة 460هـ/1068م، ودام حكم دولتهم من (398هـ-547هـ)، أنظر : ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 11، ص349 وما بعدها. ابن عذارى، المصدر نفسه، ج1، ص261 وما بعدها. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ص276 وما بعدها.

وأظهر المذهب السني وراجع دعوة آل العباس سنة 405هـ[(1)].

فترتب عن ذلك الفتنة بين حماد بن بلكين وباديس بن المنصور، فخرج إليه هذا الأخير من عاصمته بالقيروان في شوال سنة 405هـ[(2)]، وما إن سمع حماد بذلك حتى أسرع ومعه أخوه إبراهيم ونزلا باجة وأخذوا ينهبون ويحرقون ويأخذون الأموال، فتقدم إليهم باديس، وكان اللقاء الحاسم بين الجيشين عندما بلغ باديس وجيوشه سهل السرسو، أين ظهر أمر بني توجين الذين كان لهم الدور البارز في هذه المعركة وذلك في جمادى الأولى 406هـ أكتوبر 1017م[(3)].

وكان انضمام بني توجين لجيش باديس بن المنصور بأن قوي جيشه عدة وعتادا، إذ أمدوه بالمال والجنود[(4)]، وممن وفد عليه من بني توجين أميرهم عطية بن دافلتن وجاء على إثره ابن عمه بدر الذي أوفده أبوه لقمان بن المعتز على باديس طاعة ومؤازرة له، فأكرمهما واستظهر بهما، وأجاز بهم وادي شلف[(5)] ونزل بضفتي نهر واصل ومعه كثير من زناتة الناقمين على حماد، فكانت المعركة شديدة وانتهت بانهزام حماد[(6)] الذي ترك وراءه من الغنائم ما لا يعد ولا يحصى، ويصفها ابن عذارى في قوله: "فقيل إن الذي انتهب من الدرق عشرة آلاف درقة، وأنه وجد رقعتين فيهما (إن الذي عند القائد فلان صندوق فيه خمسون ألف دينار وسبعمائة، ومن الورق ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ومن

---

(1) علي بن محمد الجزيري بن الأثير، الكامل في التاريخ، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء، بيروت، دار الكتاب، الطبعة الثالثة، 1418هـ/1988م، ج7، ص. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص261.
(2) ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق ج1، ص262.
(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 11، ص351-391. ابن الأثير، المصدر نفسه، مج 8، ص87.
(4) المهدي بوعبدلي، لقطات من تاريخ مملكة الونشريس الثقافي والسياسي والحضاري في عهد دولة بني توجين، مجلة الفكر الإسلامي، الجزائر، دار البعث للطباعة و النشر 1401هـ/1981م ، ص92.
(5) وادي شلف: وهو نهر ينبع من بلاد الصحراء من مواطن بني راشد فيدخل التل من جهة جبال تيطري، ثم يمر مغربا فتجتمع فيه سائر أودية المغرب الوسط مثل وادي مينا وغيره إلى أن يصب في البحر قرب مستغانم، أنظر: ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق: اسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 1982، ص141 . البكري، المصدر السابق ، ص141. مرمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي ، محمد زنيبر و محمد الأخضر و أحمد توفيق و أحمد علوان ، الرباط ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، د.ط ، 1984 ، ج2، ص38. الحميري، الروض المعطار، ص343.
(6) ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص263.

الأمتعة خمسون صندوقا) غير ما كان في بيت حماد وخزانته"[1]، وبهذا الوصف نستطيع أن نتصور الغنائم التي استحوذ عليها جيش باديس ومعاونيه من بني توجين الذين أعانوه في معركته إذ أذن لهم في الاستحواذ على ما وقع بأيديهم من الغنائم [2].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو عن سبب بقاء قبيلة بني توجين، التي من المفروض أن يلحقها ما لحق شعوب زناتة من حملات التنكيل والتهجير من المغرب الأوسط؟

في غياب المادة الوثائقية حول الموضوع، من الصعب الإجابة على هذا السؤال، ولكن استقراء الأحداث يجعلنا نحوم حول الجواب، هو أن حملات التنكيل والتهجير التي شنّها الصنهاجيون على الزناتيين إنما اختصوا بها على زناتة من مغراوة وبني يفرن أصحاب الزعامات المعارضة آنذاك فألجؤوهم إلى ما بعد ملوية، وسمحوا لباقي شعوب زناتة الأخرى والتي كانت مغلوبة على أمرها في تلك المناطق ومنها شعوب واسين وبني يلومي وبني ومانو[3]، وهكذا فقد انصاع بنو توجين ودخلوا في طاعة بني زيري الصنهاجيين، وهذا ما يفسر انضمام بني توجين لباديس بن المنصور من آل زيري الصنهاجيين الذين أحسنوا إليهم، غير أن هناك سبب أقوى لانحياز بني توجين لباديس ضد حماد بن بلكين، هو أن هذا الأخير ولغاية في نفسه للاستقلال بالمغرب الأوسط فقد كانت حملاته على زناتة أشد وأعنف وقد قام بقتل دافلتن بن أبي بكر شيخ بني توجين في إحدى معاركه[4]، مما دفع ببني توجين أن يأخذوا على عاتقهم حق الثأر من حماد، وما إن سمحت لهم الفرصة ونشبت الفتنة بين حماد وباديس ووقعت المعركة بأرضهم حتى انحازوا لباديس لإلحاق الهزيمة بحماد وجيشه.

---

(1) ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص264.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص319.
(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص114.
(4) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 11، ص323. مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، تقديم و تصحيح محمد الميلي ، بيروت ،دار الغرب الإسلامي ، ج2، ص253.

وقد كان هذا الانتصار الذي حققه باديس انتصارا لبني توجين؛ هذه القبيلة التي زاد من تثبيت مواطنتهم لهذه المنطقة عندما أقطعهم باديس أراضيهم التي يسكنون فيها واعترف لهم بها وبما يفتحونه من البلاد، فوطدوا أقدامهم بهذه الأراضي واستقروا بها، فيذكر ابن خلدون "وسوغ لهم ما غنموه، وعقد للقمان على قومه ومواطنه، وعلى ما يفتحه من البلاد بدعوته"[1].

وما إن استتب أمر المغرب الأوسط لحماد بن المنصور واستقل بعمل المسيلة وطبنة والزاب وأشير وتاهرت وما يفتح من بلاد المغرب[2]، حتى أخذ حماد وبنوه من بعده في مواصلة حملاتهم على زناتة ببلاد المغرب الأوسط لتجريده من زناتة، وقد كانت رئاسة زناتة في عهدهم متفرقة في قبائلها وبطونها، والفتن متصلة بين المتجاورين منهم، بين مغراوة وبني يفرن (بتلمسان) وبين بني يلومي وبني ومانو (على ضفتي وادي مينة).

وقبل أن نفصل في العلاقة التي كانت بين زناتة ومنهم بنو توجين وبين هذه الدولة علينا أن نبرز حدثا كان له الأثر العميق على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي وحتى الثقافي في المغرب الأوسط، فقد شهد المغرب في عهد الدولة الحمادية والزيرية في المغرب الأوسط وإفريقية نزوح القبائل العربية من بني هلال وبني سليم[3] الذين دخلوا بلاد المغرب مع بداية سنة 442هـ/1051م بتشجيع وتحريض من الفاطميين بمصر انتقاما من صنهاجة التي قطعت الدعوة لهم وأعلنت المذهب السني لآل العباس، وبتوطنهم لبلاد المغرب

---

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص319.

(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 11، ص324-356. رشيد بورويبة، المرجع السابق ، ص34.

(3) بنو هلال وبنو سليم: هم عرب مضر قد نقلهم العزيز الخليفة الفاطمي إلى مصر، ثم فتح لهم بعد ذلك الخليفة المستنصر الفاطمي بلاد المغرب، وبدأ التدفق الهلالي مع بداية 443هـ/1051م، فكانت لهم مواجهات وحروب مع صنهاجة وزناتة واستطاعوا التغلب عليهم فاستقروا في كل من إفريقية والمغرب الأوسط وحتى المغرب الأقصى، كما كانت لهم مشاركات في الجهاد بالأندلس، أنظر : ابن خلون، المصدر نفسه، مج 11، ص7 وما بعدها. ابن عذارى، المصدر السابق ج1، ص296-297. سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في المغرب من (20-640هـ/798-1492م)، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 2003، ص232-235. مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية في بلاد المغرب حتى عصر بني مرين، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 1982، ص22.

الأوسط، كان من الطبيعي اصطدامهم بسكان البلاد صنهاجة أصحاب السلطة المحلية وزناتة قبائل هذا القطر.

استطاع العرب الهلاليون أن يسلكوا مسلك التضريب بين بني حماد وبني زيري تارة وبين قبائل زناتة[1] تارة أخرى، مستخدمين بذلك شتى الوسائل[2]، فنتج عن ذلك تحالف الناصر بن علناس مع عرب الأثبج وعُدّي ضد تميم بن المعز[3] الذي تحالفت معه عرب رياح[4] وزغبة[5].

ووقعت الحرب بين الفريقين، بفحص سبيبة غربي القيروان وذلك في سنة 457هـ [6]، وانتهت المعركة بهزيمة الناصر بن علناس الذي فرّ إلى قلعته وتحصن بها في عسكر لم يبلغ مائتين[7].

وكانت من نتائج هذه المعركة أن لحقت عرب رياح وزغبة بالناصر وساروا إلى المسيلة وطبنة، فظاهرتهم زناتة، وحالفت مغراوة واغمرت والأثبج، وحالف بنو توجين بني عدي، وذلك خوفا مما قد يلحقهم ما لحق بصنهاجة[8].

(1) وتتمثل في زناتة تلمسان وأميرهم بختي من ولد يعلي بن محمد بن خزر المغراوي و وزيره أبو سعدي بن خليفة اليفرني هذا الأخير الذي جمع حشود زناتة المغرب الأوسط مثل مغراوة وبين يلومي وبني ومانو وبني عبد الواد وبني توجين وبني مرين، فانهزمت زناتة وقتل قائدهم أبو سعدي سنة 450هـ. أنظر ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص94.

(2) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص258.

(3) تميم بن المعز بن باديس: أحد ملوك دولة بني زيري حكم من (454-501هـ/1062-1107م). ابن عذارى، المصدر نفسه، ج1، ص279.

(4) رياح: كانت تعتبر من أعز القبائل الهلالية وأكثرهم جمعا عند دخولهم إفريقية تغلبوا في البداية على قسنطينة، واهتموا بالفلاحة وتربية المواشي ثم تغلبوا بعد ذلك على ورقلة ووادي ريغ، وتقدموا إلى الزاب وملكوا الأوراس أيضا، ونظرا لخطرهم اضطرت الدولة الحفصية إلى مهادنتهم عدة مرات، أنظر ابن خلدون، المصدر السابق، مج 11، ص69 وما بعدها. مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج2، ص 356-359.

(5) زغبة: عرب زغبة إخوة رياح وكانت لهم عزة وكثرة عند دخولهم إفريقية، وعند دخولهم المغرب الأوسط تحالفوا مع بني بادين في سبيل حماية المغرب الأوسط من ثورة بني غانية فكانت مجالاتهم ما بين المسيلة وجنوب تلمسان في الصحراء بينما ملك بنو بادين التلول منه. ولما فشل ريح زناتة، دخل العرب التلول ثم تغلبوا عليهم، إذ أقطعتهم دولة بني عبد الواد الكثير من نواحي المغرب الأوسط وأمصاره وبطونهم بنو يزيد وحصين ومالك وعامر وعروة، أنظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 11، ص86-87

(6) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ص281.

(7) ابن عذارى، المصدر نفسه، ج1ن ص299. ابن خلدون، المصدر السابق، مج 11، ص355.

(8) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج11،ص 356.

أما عن تحالف بني توجين ببني عدي من العرب، فقد كان أميرهم إذ ذاك مناد بن عبد الله وقد تحالفوا على الفساد وقطع السبيل، وما إن بلغ ذلك الناصر حتـــى أرسل ابنـــه المنصـــور إليهم بعسكر ليفكّ هذا التحالف[1] وينتقم من زناتة -مغراوة وبني توجين- وقام المنصور بغارتين ضدهم، أما الأولى فقد توجهت لمغراوة واغمرت المتحالفين مع عرب الأثبج، وأما الثانية فقد وجهها ضد قبيلة بني توجين المحالفة لعدي من بني هلال، فانتصر فيها المنصور وأمسك فيها على أمراء عُدي، وكذا أمير بني توجين[2].

بعد أن وهن أمر مغراوة وبني يفرن[3] واضمحلت سلطتهم في المغرب الأوسط، وجد بنو يلومي وبني ومانو فراغا سياسيا لتسلم السلطة الزناتية خاصة بعد تحسن العلاقة بينهم وبين بني حماد الصنهاجيين إثر رابطة المصاهرة فقويت شكوتهم[4]، إلا أنه وبحكم المصلحة الذاتية لكل قبيلة وبحكم الجوار، كان من الطبيعي نشوء الفتن والخلافات بينهما[5] وسرعان ما أهلكتهم الحروب، فصاروا يستعينون بشعوب ببني واسين من بني عبد الواد وبني توجين وبني مرين يمدونهم بالمال والسلاح والحبوب[6].

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج11، ص 357. مبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص249.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج11، ص 357. رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، ص173.
(3) بدأ نجم مغراوة وبنو يفرن في الاضمحلال مع أول حملتين قام بهما بلكين بن زيري الأولى سنـــة 360هـــ والثانية 369هـــ/980م فأجلاهم عن المغرب الأوسط ليتولى حماد بن بلكين مواصلة حروبه على زناتة ثم يأتي العرب الهلالية ويدفعونهم عن مواطنهم فأفل نجمهم وبرزت زناتة بني يلومي وبني ومانو بعدهم، أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، مج 11، ص316-318. ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ، دار منصور للطباعة و الوراقة ، د.ط ، 1972 م، ص104-105. عبد الرحمن الجيلالي، المرجع نفسه، ج1، ص247.
(4) إذ أصهر العزيز بن المنصور (515-547هـــ/1121-1152م) ابنته لماخوخ من بني ومانوا، أنظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، مج13، ص 115.
(5) ومنشأ هذه الخلافات والفتن كانت بسبب اهتمام الناصر بن علناس ببني ومانو ومنحهم الامتيازات بالولاية دون بني يلومي والتي اشتدت بمصاهرة المنصور بن الناصر بماخون رئيس بني ومانو. ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص114.
(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج13، ص 128.

ويتضح من الأحداث السياسية التي جرت في المغرب الأوسط بعد الرحيل الفاطمي وتولي آل زيري الصنهاجيين الحكم من بعدهم ليخلفهم آل حماد أبناء عمومتهم الحكم على بلاد المغرب الأوسط وكيف ظهر أمر بني توجين في خضم هذه الأحـــداث، يظهر أن الدور السياسي لبني توجين حتى القرن الخامس الهجري قد ساروا على النظام القبلي[1] الذي عُرفوا به ضمن شعوب بني واسين[2] والتي ظلت مغلوبة للزعامات الزناتية آنذاك إذ بقيت هذه الطوائف الزناتية منعزلة في القفز تحت إشارة الطبقة الأولى تؤدي لها الطاعة وتلبية النداء إذا دعت للاستعانة بها [3].

(1) النظام القبلي: القبيلة المغربية على امتداد العصر الوسيط تشكل وحدة اجتماعية، تتكون في القاعدة من الخلية الأولى وهي الأسرة، ثم ترتفع إلى مستوى العشيرة المشتملة على عدد من الأسر المنتمية إلى جد واحد، ثم ترقى إلى البطن الذي يجمع عشائر شتى بواسطة المصاهرة أو الجوار أو المصلحة المشتركة وتنتهي في القمة بالقبيلة التي تضم عدة بطون تجمع بينها وحدة الدم والنسب. إبراهيم القادري بوتشيش ، مباحث في التاريخ الاجتماعي ، ص 230-231.

(2) بنو واسين: وهم أبناء واسين بن يصلتين اشتهروا بفرعين أساسيين بادين وورتاجن، أما بادين فقد تفرعوا إلى بني عبد الواد وبني توجين، وبني مصاب، وبني زردال، وبني راشد، في حين أن بنو ورتاجين انبثق منهم بني مرين وكانت قبيلة بني واسين تقطن ما بين نهر ملوية وجبل بني راشد، ومع نهاية القرن السادس الهجري تفرقت عصبيات هذه القبيلة بعد تولي بني عبد الواد حكم المغرب الأوسط وبني مرين على المغرب الأقصى وباقي العصبيات الأخرى التي اقتسمت معهم الملك كبني توجين وبني راشد وإخوتهم مغراوة. ابن خلدون، العبر، مج 13، ص120. بوزياني الدراجي، القبائل الأمارغية أدوارها ومواطنها وأعيانها، الجزائر ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، الطبعة الأولى، ج1، ص207-262.

(3) أبو عبد الله الأعرج السليماني، تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبد القادر عن كتاب الشماريخ، تحقيق: حساني مختار، الجزائر، المكتبة الوطنية، د.ط، د.ت، ص105.

- **بنو توجين في العهد الموحدي :**

وقد قامت الدولة الموحدية في 524هـ/1130م[1] عندما تولى أمرها عبد المؤمن بن علي خليفة للمهدي بن تومرت[2] الذي عرف بالحنكة السياسة وعلو همته وأفكاره البعيدة المدى، فما إن ثبت أقدامه في الملك وأرسى قواعد ملكه بالسوس، حتى أسرع في بسط نفوذه على أنحاء المغرب الأوسط، فنهض بجنوده سنة 534هـ/1139م متوجها إلى أعمال تلمسان[3]، وقد انضمت إليه قبيلة بني ومانو من زناتة فأردفهم عبد المؤمن رفقة يوسف بن واندين وابن زجو وابن يومر بعسكر الموحدين إلى بلاد بني يلومي والتي دعت بها الضرورة إلى تحالفها مع شعوب بني بادين لإعانتها بالعدة والعتاد فانضمت إليها كل من بني عبد الواد وبني توجين[4]، ودارت معركة انتهت بهزيمة بني ومانو، واستنجدوا بعبد المؤمن بتلمسان. ونهض بعسكره إلى بلاد زناتة بني يلومي[5]، ولما حقق تاشفين بن علي من وصول عبد المؤمن، دخل هو تلمسان وجنّد فيها عسكره ومن انضم إليه من المدد الصنهاجي، وأمر بعرض الجيوش، وسائر الوفود والجنود[6]، وبعث إلى عبد المؤمن واجتمع معه في موضع منداس 538هـ/1143م ببلاد بني يلومي، شرق ولاية تلمسان، وانتهت بهزيمة في صفوف المرابطين وأحلافهم من بني يلومي وعبد الواد وبني ورسيفان وبني توجين الزناتين، هذه الهزيمة التي أجبرت رؤساء تلك القبائل على الدخول في طاعة عبد المؤمن بن علي[7]. فكان بينهم عطية الخير شيخ بني توجين[8]. وبعد أن غلب الموحدون على المغرب الأوسط

(1) مؤلف مجهول، الحلل الموشية ، ص143.
(2) عبد المؤمن بن علي: يعتبر المؤنس الحقيقي للدولة الموحدية حكم من (524-558هـ/1130-1163م). ينظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنيبر، عبد الله زمامة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الرباط، دار الثقافة، ط1، 1406هـ/1985م، ص 16 وما بعدها.
(3) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص8.
(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص115-116.
(5) ابن عذارى المراكشي، المصدر نفسه ، ص18-19.
(6) مؤلف مجهول المصدر نفسه، ص131-132.
(7) محمد بن معمر المرجع السابق ، ص282-287.
(8) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج13،ص 117.

وقبائله من زناتة، أبقوا لكل قبيلة قائدها الخاص، كي تحارب كل منها كمجموعة ضمن المجموعة الكبرى للجيش[1] .

تحيز بنو عبد الواد وبنو توجين إليهم وشايعوهم بالدعوة، وإثر انتقاض أمر بني ومانو وبني يلومي عن المغرب الأوسط وزوال سلطتهم، فقد صار لبني توجين العزة والقوة التي طالما كانت مفقودة لديهم لأن ينازعوا هذين الحيين، فقام بنو توجين بمنازعة بني يلومي لمواطنهم وحاربوهم عليها، وقد كان كبير بني توجين آنذاك عطية الخير حاربهم في تلك البسائط من أرض المغرب الأوسط وواصل بنو منكوش دأبهم بعده حتى غلبوهم على مواطنهم وألحقوهم جيرانا لهم، وقد استعلى بذلك كل من بني عبد الواد وبني توجين على كل من بني ومانو وبني يلومي بولايتهم للموحدين ومخالصتهم إياهم وصاروا فيما بعد ملوكا [2].

وكانت من بين الأعمال التي استحسنها الموحدون لبني توجين هي مساندتهم في قمع ثورة بني غانية في المغرب، فعندما لحق الملك المنصور الموحدي (580-595هـ/1184-1198م) بابن غانية في سنة 584هـ، وكان العباس بن عطية أمير بني توجين رفيقه ودليله في مسيرته هذه[3] إذ وصف ابن خلدون مرافقة العباس بن دافلتن للمنصور في قوله: "والعباس بن عطية الزناتي يطوي له المراحل وينتقي له المنازل حتى أطل على تلمسان في مدة قريبة من الزمان"[4] وهذا دليل على مدى معرفة بني توجين وشيوخهم بهذه المناطق.

وكانت رئاسة بني توجين لعهد الموحدين لعطية بن مناد بن العباس بن دافلتن والملقب بعطية الحيو، وقد توارث بنو دافلتن الرئاسة منذ العهد الحمادي بعدما تغلبوا على ابن عمهم لقمان بن المعتز[5].

(1) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ، الرباط ، دار السلمى، الطبعة الأولى ، 1384 هـ/1965 م ، ص 343.
(2) ابن خلدون، المصدر السابق، مج13،ص 117.
(3) ابن عذارى، البيان امغرب، قسم الموحدين ، ص197.
(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 12، ص510.
(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص319.

وبحكم الجوار ونظرا للامتيازات المقدمة لكل من بني عبد الواد وبني توجين نتيجة ولائهم لبني عبد المؤمن، ظهرت بوادر التنافس والخلاف بينهما لتنشأ بعدها منازعات وحروب دائمة أدت إلى انتهاك واستنزاف القوى لكلا الطرفين.

غير أن بني عبد الواد قد اختصوا بالولاء أكثر من بني توجين، وذلك إثر المكيدة التي أوقع فيها جابر بن يوسف شيخ بني عبد الواد بالحامية التي كانت على الديوان الموحدي[1]، فتلقى نظير هذا الصنيع بأن كتب له المأمون الولاية على تلمسان وسائر بلاد زناتة[2].

(1) ومفاد هذه المكيدة، أن قام إبراهيم بن إسماعيل بن علان والي تلمسان بتجديد الدعوة لبني غانية وأراد قطع دابر مشيخة بني عبد الواد، فتفطن له بذلك جابر بن يوسف شيخ بني عبد الواد، فتمكن هذا الأخير من كشف مخططاته وأوقع بابن علان، واجتمع إليه كافة بني عبد الواد وبني راشد وبعث ببيعته للمأمون الموحدي. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص199. ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص152-153.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، مج13، ص 153.



الفـــصل الأول

إمارة بني توجين بين الدوافع والتأسيس

1- تقسيم الإرث الموحدي وظهور الكيانات السياسية

2- التنافس على الرئاسة واحتدام الصراع

3- مرحلة النشأة و التأسيس (607-647 هـ)

4- ازدهار الإمارة وتوسعها (647-684 هـ)

5- ظهور الفتن والانقسامات الداخلية (684-717 هـ)

1- تقسيم الإرث الموحدي و قيام الكيانات السياسية

إن تفكك الدولة الموحدية –التي تمكنت من بسط سلطتها على بلاد المغرب الإسلامي وجزء من الأندلس، والتي عمرت مائة وأربعة وأربعين سنة (524-668هـ)- سوف يخلف ثلاث وحدات سياسية، وهي الدولة الحفصية (المغرب الأدنى) الدولة الزيانية (المغرب الأوسط) والدولية المرينية (المغرب الأقصى)، ولم تقنع أي دولة بالمناطق التي تأسست عليها، بل حاولت ضم بقية التركة الموحدية إما بإدعاء أنها تمثل استمرارية للدولة الموحدية (الشرعية الموحدية) كما هو الحال للحفصيين أو رغبة في التسلط والزعامة على الملك، وعرش زناتة كما هو الحال بالنسبة للمرينيين والزيانيين[1]، بمشاركة إمارات زناتية أخرى في المغرب الأوسط[2]. وهي السمة السياسية التي طبعت عليها هذه الدول القائمة على القهر والغلبة[3].

احتلت دولة بني حفص مركز الصدارة بعد انهيار سلطة بني عبد المؤمن لأسباب دينية أكثر منها سياسية أو عسكرية، فمنذ البداية اعتبر الأمير الحفصي أبو زكريا نفسه وريثا للخلافة الموحدية بعد أن تخلى المأمون أحد حفدة عبد المؤمن عن العقيدة التومرتية سنة 626هـ، فكان حقا لأبناء عم أبي حفص أن يرثوا ما تبقى من الدعوة والدولة[4].

---

(1) عبيد بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط (ق7- ق8) الجزائر ، دار الغرب للنشر والتوزيع، د.ط 2003، ص156م.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص130.

(3) صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية (633-791هـ)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط –قسنطينة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد الأمير القادر للعلوم الإسلامية، 2003-2004، ص68.

(4) عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، بيروت ، المركز الثقافي للعرب ، الطبعة الثانية، 2002 م، ج2، ص95.

استقر أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص في تونس عاملا على إفريقية سنة 603هـ[1] بما يسمى بنيابة السلطة الموحدية، وقد كان هذا الرجل يجمع بين المقدرة على الحكم والخبرة بشؤونه والقدرة على قيادة الرجال، ووجد في إفريقية مجالا صالحا لتجديد الدولة الموحدية، بعدما منحه السلطان محمد الناصر الموحدي الصلاحية المطلقة[2].

وبعد أن تمكـــن أبو محمد الحفصي من القضـــــاء على ثورة بني غانية[3] سنة 618هـ/1221م [4]، استتب له أمر إفريقية، وقضى بها نحو خمسة عشر عاما وضع فيها أسس دولة جديدة، ليعرف هذا الإقليم الاستقلال التام سنة 627هـ على يد أميرها أبي زكريا الحفصي[5].

ويبدو أن السلطان الحفصي أبو زكريا لم يقنع بحدود المجال السياسي المنطوي تحت لوائه، بل أخذته الرغبة في فرض السيطرة على باقي بلاد المغرب الإسلامي –وهنا يأتي المغرب الأوسط في صدارة اهتمامات هذه السلطة بحكم الجوار وباسم الشرعية الموحدية، على اعتبار أن الحفصيين يشكلون امتدادا للعرش الموحدي فكان على بني حفص محاربة بني غانية أولا ثم التفرغ لمشروع

(1) حسين مؤنس، تاريخ المغرب و حضارته، بيروت ، العصر الحديث للنشر و التوزيع ، الطبعة الاولى ، 1412 هـ/1992 م ، مج 2، ج2، ص218.

(2) ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ، تحقيق: محمد الشاذلي وعبد المجيد التركي، تونس ، الدار التونسية للنشر، 1968، ص105. – حسين مؤنس، المرجع السابق، مج 2،ج2 ، ص205.

(3) بنو غانية ينتمون إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية التي ينحدر منها بنو تاشفين أمراء المرابطين، كانوا ولاة على دانية، فامتلكوا جزر البليار شرق الأندلس، واستقروا بها وأعلنوا ولاءهم للدولة العباسية ثم ثاروا على الموحدين، فغزوا بجاية، مليانة، قلعة بني حماد، قسنطينة، واستمرت ثورتهم إلى عهد الدولة الحفصية. أنظر ابن خلدون، العبر، مج 11، ص581. محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص17 ومابعدها.

(4) ابن خلدون، العبر، مج 12، ص587.

(5) أبو زكريا الحفصي: هو يحيى بن أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص الذي استبد بالحكم تدريجيا فنبذ طاعة صاحب مراكش سنة 625هـ/1228م، ثم أسقط اسم الخليفة الموحدي من الخطبة سنة 627هـ/1229م وبويع ثانية سنة 634هـ/1236م، أنظر ابن خلدون المصر نفسه، مج 12، ص594-595. ابن قنفد القسنطيني ، المصدر نفسه، ص107-108. أبو عبد الله محمد الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، تحقيق : محمد ماضور ، تونس ، المكتبة العتيقة ، الطبعة الثانية ، 1966 ، ص23.أبو عبد الله محمد إبن الشماع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر ، الدولة الحفصية ، تحقيق : الطاهر بن محمد المعموري ، تونس ، الدار العربية للكتاب ،د.ط ، 1984 ، ص54.

التوحيد، إلا أن هذا المشروع قد تأخروا في إنجازه بسبب انشغالهم في إخماد ثورة بني غانية كما كان على أبي زكريا الحفصي في توغله نحو الغرب مواجهة القبائل الزناتية الضاربة في بلاد المغرب الأوسط(1) وعلى رأسهم بنو زيان الذين تمكنوا من إقامة دولة بتلمسان وضواحيها سنة 633هـ على يد أميرها يغمراسن بن زيان(2).

كما استفاد بنو حفص من تفكك دولة الموحدين في تأسيس دولتهم بالمغرب الأدنى، فقد كانت هناك عناصر بربرية أخرى والتي من شأنها استغلت الضعف الذي أصاب دولة بني عبد المؤمن وضياع هيبتهم، إذ لم تكن هذه العناصر من فرع المصامدة الصنهاجية، بل كانت من الجذم المقابل وهم البربر البتر المتمثلة في زناتة، فتطلعت هذه القبائل الزناتية –كبني مرين وبني زيان وغيرهما من بني توجين ومغراوة– لإحياء وبعث العرق الزناتي من جديد(3)، وتسلم السيادة الزناتية على الساحة السياسية بعدما اضمحلت السيادة البرنسية المتمثلة في دولة بني عبد المؤمن وتحقق لهم ذلك على الأقل في بلادي المغرب الأوسط والأقصى.

وقد سبق الذكر أن هذه القبائل الزناتية كانت خلال القرون السبعة الأولى للهجرة مغلوبة لزناتة مغراوة وبني يفرن وبني يلومي وبني ومانو وللدول الصنهاجية المتتالية عل حكم بلاد المغرب الإسلامي، إلا أنه ومع تسلم بني عبد المؤمن الحكم على جميع بلاد المغرب الإسلامي، فقد استطاعت هذه القبائل الزناتية أن تحقق لها نوع من التميز إذ أدت أدوارا مختلفة باختلاف قبائلها مما جعل لها وزنا سياسيا في مسرح الأحداث السياسية وحتى العسكرية منها، فمنها

(1) عبيد بوادود، المرجع السابق، ص157.
(2) يغمراسن بن زيان: مؤسس دولة بني زيان، إذ توفرت فيه خصائل منها الشجاعة وقوة الإرادة والحكمة، أعلن استقلاله بتلمسان سنة 633هـ/1235م وترك الدعاء على المنابر لخلفاء الموحدين وتمكن خلال فترة حكمه التي دامت أكثر من سبع وأربعين سنة من توطيد الملك لأبنائه من بعده، وصارت تلمسان في عهده حاضرة من الحواضر العالمية في ذلك الوقت. ينظر: يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص204. عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص162.
(3) حسين مؤنس، المرجع السابق، مج2، ج3، ص9.

من دخل في طاعة الموحدين وقدموا الولاء والخدمة نظير امتيازات[1] مقدمة لهم من قبل السلاطين الموحدين كشعوب بني بادين من بني واسين والمتمثلة في قبيلة بني عبد الواد وبني توجين ومغراوة وبني راشد، فتركزت مواطنهم في بلاد المغرب الأوسط، واستطاعت أن تثبت أقدامها في هذه البلاد مترصدة الأوضاع التي آلت إليها الخلافة الموحدية، ومن هذه القبائل الزناتية ما أظهرت لها العداء وفق صراع دائم ومستمر أطاح بالعرش الموحدي كقبائل بني مرين[2].

(1) حسين مؤنس، المرجع نفسه، مج2، ج 2، ص 120
(2) بنو مرين وعن وصولهم إلى الحكم وتأسيس الدولة سيأتي لاحقا في الفصل الثاني.

- المغرب الأوسط في ظل الصراعات القائمة :

والمغرب الأوسط في هذه الفترة -بعد أن تفككت وحدة بلاد المغرب الإسلامي وتصدع سلطته السياسية الموحدية- بدوره لنا أن نقسمه إلى وحدات جيو سياسية[1]:

القسم الشرقي منه: المتمثل في عنابة وبجاية وقسنطينة وإقليم الزاب، فقد كانت مقاطعاته تابعة للمغرب الأدنى تحت حكم السلطة الحفصية.

الجزء الغربي منه: وكانت قاعدته تلمسان، وهي ولاية تابعة للسلطة الموحدية في مراكش، وبعد أن تسلم ولايتها بنو زيان على عهد الخليفة المأمون الموحدي عمل هذا الأخير على تثبيت جابر بن يوسف -كبير قوم بني عبد الواد- حاكما شرعيا على إقليم تلمسان وإقليم بني راشد ومدن أخرى ماعدا مدينة ندرومة[2]، وبتولي يغمراسن بن زيان هذه الولاية خلفا لجابر سنة 633هـ قام هذا الأخير وأعلن استقلاله بهذه الأقاليم الممتدة من واد صا المتفرع من وادي ملوية غربا إلى السيك والبطحاء[3] شرقا[4]، وبذلك تأسست الدولة العبد الوادية وقاعدتها تلمسان.

أما المنطقة الوسطى من بلاد المغرب الأوسط والممتدة من المدية شرقا إلى السيك والبطحاء غربا -التخوم الزيانية- ومن البحر المتوسط الممتد من جزائر بني مزغنة وتنس شمالا إلى مصاب جنوبا، وهي مواطن لقبائل زناتية أخرى تتمثل في بني توجين ومغراوة، هذه الأخيرة التي كانت مواطنهم الأولى بشلف[5]، وفي ظل دولة بني عبد المؤمن أصبحت مواطنهم شمال الونشريس ووادي شلف إلى البحر، ينتهي شرقا إلى وادي السبت قرب متيجة وغربا إلى البطحاء ناحية

---

(1) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ج1، ص40.
(2) فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص15. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص200.
(3) البطحاء: مدينة ورد ذكرها لدى الرحالة الجغرافيين منذ القرن 5هـ وقد اختلف في تحديد موقعها الحالي وأغلب الظن أنها كانت تقع على الطريق الكبرى المؤدية من تلمسان إلى الجزائر العاصمة على الضفة اليسرى لوادي مينا قرب غليزان، أنظر الحسن الوزاني، وصف إفريقيا، ج1، ص27-28.
(4) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص179
(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص131.

نهر مينة، تشمل جبال شاهقة وسهول خصبة ومدن عامرة منها مليانة ومازونة وتنس وبرشك وشرشال[1].

أما بنو توجين: فقد كانت مواطنهم الأولى جنوب الونشريس وأرض السرسو وفي ظل دولة بني عبد المؤمن، امتدت مواطنهم من المدية شرقا إلى السيك والبطحاء غربا[2]، وجبال ونشريس شمالا إلى مصاب وإقليم الزاب الغربي جنوبا[3]. وظلت أن مواطن مغراوة وتوجين منطقة صراع تداولت عليها القوتان الحفصية والزيانية، إلى أن تمكنت هاتان القبيلتان من اقتطاع الملك ومقارعة الملوك والسلاطين وبسطوا النفوذ[4] وأسسوا كل من إمارة مغراوة عل يد أولاد منديل بشلف وإمارة بني توجين بالونشريس.

(1) مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج2، ص467.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص179.
(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص321. مبارك الميلي، المرجع نفسه، ج2، ص471.
(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص130.

2- التنافس على الأقاليم واحتدام الصراع :

- الصراع الزياني-المريني :

أما بنو مرين، فكان عليهم الصراع والمواجهة مدة نصف قرن للوصول إلى كرسي الحكم حتى سنة 668هـ/1269م ليصطدموا في صراع دائم ومستمر مع زناتة بني زيان[1]، وإن الصراع بين بني زيان وبني مرين رغم صلة الدم التي تربط بين هذين الحيين راجع إلى أن المصلحة الذاتية التي كانت تطغى على أي روابط[2]، وإن العداوة مبعثها المنافسة على رئاسة زناتة والتشوف إلى السلطان المطلق على المغرب الإسلامي[3]، وقد أثر هذا الصراع بين بني مرين وبني زيان إلى تعرض المغرب الأوسط إلى سقوطه تحت الهيمنة المرينية مرات عديدة.

وفي ظل هذا الصراع فقد كان بنو توجين يستغلون هذه الفرص تارة لاستعادة الأقاليم والمدن التي كان بنو عبد الواد يستحوذون عليها وتارة أخرى ينتهزون المواقف للثأر من بني عبد الواد لما كان يلحق بلادهم من الفساد والتشريد.

- الصراع الزياني- الحفصي:

شهدت الجهة الشرقية لبلاد المغرب الأوسط عهد تبعية حفصية[4] في بداية ميلاد الدولة الحفصية، إلا أنه ومع استقلال بني زيان بتلمسان سنة 633هـ، الذين أخذتهم الرغبة في التوغل شرقا لبسط سيطرتهم على بلاد المغرب الأوسط، مما جعل هذه المنطقة تشهد صراعا بين هاتين الدولتين، ومما زاد من حدة الصراع هو ما أثير لدى السلطان أبو زكريا الحفصي من ريبة وشك من الصلات الطيبة

(1) العروي، المرجع السابق ، ج2، ص198.
(2) فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص18.
(3) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص100.
(4) أنظر ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 12، ص595-596.

ومؤانسة بين يغمراسن بن زيان والخليفة الرشيد الموحدي، فاعتبر أبو زكريا هذا التقارب تهديدا لسلامتهم واستقرارهم[1]، فنهض إليهم أبو زكريا الحفصي سنة 640هـ/1242م ودخل تلمسان[2]. فكان من نتيجة هذا الصراع الاعتراف باستقلال بني توجين بمواطنهم وإلباسهم لباس الملك سنة 647هـ/1249م.

(1) فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص21.
(2) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص205. ابن قنفذ، الفارسية، ص109. أما التنسي فينفرد بتحديد سنة دخول أبو زكريا سنة 645 هـ/1247 م . أنضر محمد بن عبد الله التنسي ، نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان – تاريخ بني زيان ملوك تلمسان – حققه و علق عليه محمود بو عياد ، الجزائر ، المكتبة الوطنية ، د.ط ، 1405 هـ/1985م، ص117 .

3- مرحلة النشأة والتأسيس 607-647هـ/1210-1249م

وتبدأ هذه المرحلة بعد دخول بني توجين تلول المغرب الأوسط في عهد عبد المؤمن بن علي وبعد أن انقادت القبائل الزناتية له وأظهرت الطاعة(1).

وكان متولي أمور بني توجين آنذاك كبيرهم عطية بن مناد بن العباس بن دافلتن(2)، هذا الأخير الذي كان عهده بداية لمنشأ الخلاف بين بني توجين وبين بني عبد الواد عندما دخلت هاتان القبيلتان تلال المغرب الأوسط(3) فتزاحموا على المناطق الخصبة والمراعي، وقد تحصلوا على هذه الإقطاعات والامتيازات نظير الخدمات التي كانوا يقدمونها لبني عبد المؤمن من إمدادات عسكرية تارة(4) وبالمظاهرة بهم على العدو تارة أخرى.

- انفراد العباس بن عطية بالرئاسة على بني توجين (توفي 607هـ):

وبعد وفاة عطية الحيو –الذي لم ترد سنة وفاته– خلفه ابنه العباس الذي استطاع أن يحقق لقومه مكانة مرموقة لدى سلاطين بني عبد المؤمن بعد أن عيّنه الخليفة الموحدي على رئاسة القوم(5)، وذلك عندما شارك في حملة المنصور الموحدي على ثورة بني غانية(6)، فكان دليله في طريقه من تاهرت إلى تلمسان

(1) ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص19. – ابن خلدون، المصدر السابق، مج 11، ص477.
(2) دافلتن: هكذا وردت في الكتب التاريخية وهي صحيحة لوجود قبائل ماتزال إلى اليوم بالونشريس تسمى أولاد دافلتن ببلدية الرمكة التابعة لولاية غليزان، وفي الحدود الفاصلة بينها وبين تيسمسيلت. لحسن محمد، عمي موسى قلعة الثوار بغرب الونشريس، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، د.ط2007، ص72.
(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص179.
(4) حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، مج2، ج3، ص120.
(5) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، الرباط، دار سلمى، ط1 (1384هـ/1965م)، ج1، ص334.
(6) حملة المنصور الموحدي : بعد أن استفحل أمر بني غانية الملثمين وتملكوا بلاد الجريد وقفصة، خرج إليهم الخليفة المنصور الموحدي من مراكش سنة 582هـ، ونزل القيروان، ثم أخذ السير نحو الحامة أين التقى الفريقان في معرة انتهت بفرار بني غانية، واشتغل بعدها المنصور باستئصال من بقي من الملثمين بالبلاد الإفريقية وانكفأ راجعا إلى المغرب سنة 584هـ. ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 12، ص509-510.

واكتسب بهذا الولاء، النفوذ في بسط سيطرته على المناطق المجاورة بعد أن سمح لهم بذلك من قبل سلاطين الموحدين [1].

فبعد أن استقر العباس بن عطية وقومه من بني توجين بمواطنهم الجنوبية من جبال الونشريس والأراضي التي تليها من أرض السرسو وتاهرت، أخذ العباس بن عطية في التغلب على المناطق المجاورة خاصة بعد أن خفّت وطئة القبائل العربية عن المغرب الأوسط وذلك عندما أخذ بنو عبد المؤمن على عاتقهم نقل هذه القبائل من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى وأدخلوهم في الجيش وأقطعوهم الأراضي والبقية منهم أقروهم بالمغرب الأوسط فاندرجوا مع سكانه وقلت سيطرتهم[2].

وقد أقدم العباس بن عطية في فترة رئاسته على بني توجين، على نقض طاعة الموحدين[3]. وأمام صمت الروايات التاريخية عن سبب إقدامه على هذه الخطوة لنا أن نفترض موقف السلاطين الموحدين من بني عبد الواد باختصاصهم بالمنزلة ومنحهم الامتيازات والإقطاعات دونا عن باقي شعوب زناتة المغرب الأوسط[4]، بالإضافة إلى ما قام به الخليفة المأمون الموحدي أن كتب لبني عبد الواد الرئاسة على سائر بلاد زناتة[5].

وقد تلقى العباس بن عطية إزاء موقفه هذا بأن دسّ عليه أبو زيد ابن يوجان[6] من اغتاله بمقره سنة 607هـ[7].

(1) فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص15.
(2) حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، مج 2، ج2، ص98.
(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص320. ابن أبي زرع، الأنيس، المطرب، ص233.
(4) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص198.
(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص153
(6) أبو زيد بن يوجان: هو أبو زيد بن يوجان بن الشيخ أبي حفص، اتخذه الخليفة الناصر وزيرا ثم عينه عاملا على تلمسان ثم عزل عن الولاية من طرف الخليفة المستنصر لتنتهي حياته بأمر من الخليفة المأمون بن المنصور الموحدي بقتله لما بادر منه من وشاية وغدر. ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 12، ص. 512-529. ابن عذارى، البيان، المغرب، ج5، ص257.
(7) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص320. ابن عذارى، المصدر نفسه، ص259.

- جهود عبد القوي بن العباس في الاستيلاء على الضواحي والأمصار

تولى عبد القوي الرئاسة على قومه من بني توجين خلفا لأبيه العباس، ولم يسترجع فيها طاعة الموحدين بل كان عليه استغلال الأوضاع التي آل إليها المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط خاصة بعد موقعة العقاب المشؤومة بالأندلس سنة 609هـ/1212م[1]، إذ ضعفت سيطرة بني عبد المؤمن على الأقاليم. انتهج على إثرها عبد القوي بن العباس سياسة أخرى نابعة من طابعهم البدوي والقائمة على سياسة التغلب على الأوطان[2].

وأمام صعود وتدرج بني عبد الواد الزناتيين من الإقطاعات والحظوة إلى مقاليد السلطة، بعد أن رأسهم الخليفة المأمون الموحدي (626-629هـ/1228-1232م) على رئاسة زناتة المغرب الأوسط[3] أصبح على عبد القوي العمل على الجبهات الثلاث للانتقال والرفع من مكانة قومه إلى مراكز السلطة واقتعاد الملك ومجاذبته مع ملوك زناتة والمتمثلة في بني مرين وبني عبد الواد[4].

*** دور العصبية في التغلب :**

ولما كانت عناصر الحياة القبلية قائمة على الأرض، النسب والعصبية[5] كان لهذه الأخيرة دور في جمع شمل فروعها وتوحيد كلمتهم، ثم السعي إلى الملك[6].

---

(1) موقعة العقاب: جرت هذه المعركة بالأندلس بين الموحدين بقيادة محمد الناصر الموحدي وبين الجيش الإسباني المسيحي بقيادة ألفونسو الثامن وانتصر فيها الإسبان، وكانت بمثابة نقطة انعطاف من المسار السياسي للدولة الموحدية، فقدت فيها الدولة هيبتها العسكرية، فكانت أحد العوامل التي أسرعت في هرمها. أنظر ابن أبي زرع، الأنيس، المطرب، ص 238-239. حسين مؤنس، ص231-239.

(2) ابن خلدون، المقدمة، تحت عنوان: "في أن الأمم الوحشية أقدر على التغلب ممن سواها"، ص101.

(3) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص198.

(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص130.

(5) إبراهيم بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص221.

(6) يذكر ابن خلدون "إذا غلبت العصبية استولت على النعمة بمقداره وشاركت أهل النعيم والخصب في نعمهم وخصبهم" ابن خلدون، المقدمة تحت عنوان "أن الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك"، ص104. ابن فضل العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، يصدره: سزكين بالتعاون مع علاء الدين جوخوشا وايكهار دنويباور، ألمانيا، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، د.ط 1408هـ/1988م، السفر الرابع، ص71

تعددت بطون قبيلة بني توجين وتشعبت، وانفرد منها بني منكوش بالرئاسة والقهر[1] على باقي البطون وانحصرت رئاستهم في بني دافلتن منهم، ليتسلمّ بعدها عبد القوي بن العباس الرئاسة ويورثها بنيه من بعده[2].

فبعد أن ضعفت سيطرة السلطة المركزية الموحدية على نواحي المغرب الأوسط بسبب سوء اختيار القادة وولاة الأقاليم، وتقلص نفوذهم، استغل عبد القوي بن العباس هذا الوضع وأخذ في الإجلاب على النواحي وبدأ بتوسعاته في الاتجاهات الثلاث.

أما الشمالية والشرقية منها، فكانت على حساب بلاد مغراوة[3] الضاربة شمال مواطنهم، إذ استطاع عبد القوي بن العباس انتزاع جبال الونشريس من مغراوة[4] في بداية عهد العباس من منديل المغراوي[5]، وهذا بسبب تواجدهم بتاهرت من أرض السرسو[6]، فإن فتحة تاهرت تمثل وسيلة الاتصال المهمة بين شمال البلاد وجنوبها، عبر السفوح الغربية للونشريس[7]، والتوغل فيها عن طريق طريق وادي مينا يقود بسهولة إلى سهل الشلف[8]، وبذلك تمكن بنو توجين عبر هذه الفتحة من التغلب على هذا الجبل الوعر، واتخذوه مقرا لإمارتهم فيما بعد، وأنزل عبد القوي بن العباس بهذا الجبل ببني تيغرين وبني منكوش من أحياء قبيلته[9].

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص320.
(2) يذكر ابن خلدون "لا بد من الرئاسة على القوم أن تكون من عصبية عالية لعصبياتهم واحدة واحدة". ابن خلدون، المقدمة تحت عنوان "في أن الرئاسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم، ص104.
(3) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص321.
(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص134. مرمول كربخال، إفريقية، ج2، ص32.
(5) العباس بن منديل: ثاني أمراء مغراوة الذي حكم (623-647هـ/1226-1249م)، أنظر مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج2، ص470.
(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 12، ص510.
(7) يحيى بوعزيز، المقاومة في جبال الونشريس وحوض شلف وجبال الظهرة منذ الاستعمار الفرنسي 1840-1864م، مجلة الأصالة، ص3.
(8) شارل إيمانويل دايفوراك، مكانة الونشريس والجهات المجاورة في تاريخ المغرب الأوسط، الفكر الإسلامي، ص95.
(9) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص320.

وقد اصطنع عبد القوي كل من بني منكوش وبني تيغرين وقربهم واختصهم بالإيثار والحلف[1] فصاروا أولياءه الأقربين ونصحاءه المخلصين[2].

كما تغلب على المدية أيضا وهي من بلاد صنهاجة[3]، التي كانت تحت حكم منديل ين عبد الرحمن المغراوي[4] إضافة إلى حصن تافركينت[5]. وبالتالي وبالتالي كانت المدية وجبال الونشريس بمثابة الحدود الشمالية والشرقية التي بلغها بنو توجين على عهد عبد القوي بن العباس. أما من الناحية الغربية، استطاع عبد القوي التغلب على منداس والجعبات[6] وتاغزوت[7].

وأسكن أحياء بني مدن ومنهم بنو قاضي وبنو مادون بمنداس وضواحيها ونزل بنو يدللتن بتاغزوت والجعبات[8]، بينما بقي بنو يرناتن بمواطنهم الأولى -جنوب الونشريس-[9].

---

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص320.

(2) ابن خلدون، المقدمة تحت عنوان: "في استظهار صاحب الدولة على قومه وأهل عصبيته بالموالي المصطنعين"، ص 138.

(3) صنهاجة: كانت لهذه القبيلة أراض بنواحي المدية وحول الونشريس ومنها فرع مليكش استقروا بنواحي متيجة، وكانت صنهاجة تناوئ بني عبد الواد وتناصبهم العداء وكثيرا ما كانت تخرج ضدهم. أنظر ابن خلدون، العبر، مج 13، ص309 وما بعدها. مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص 215-216.

(4) منديل بن عبد الرحمن: أمير مغراوة الذي استطاع تجديد ملك قبيلته بعد انقراض ملوك آل خزر واضمحلال دولتهم في تلمسان وسجلماسة وفاس وبقي منهم بمراكزهم الأولى الشلف و ضموا تنس وشرشال وبرشك واستطاع منديل بن عبد الرحمان الإستلاء على جبل الونشريس والمدية واختطاط حصن مرات.أنظر ابن خلدون المصدر السابق مج 13 ص131 وما بعدها

(5) تافركينت: وهو حصن منيع يقع على الساحل من جانب الشمال الغربي للونشريس، أنظر: الإدريسي، المغرب العربي من نزهة المشتاق، ص190.

De Slane. Le Baron, Histoire des Berbères, p529.

(6) الجعبات: إحدى مدن تاهرت وهو مكان حصين بالجوار مع قلعة تاغزوت. المقدسي، أحسن التقاسيم، في معرفة الأقاليم، ص 180.

De Slane. Op.cit, p503.

(7) تاغزوت: وهي قلعة تقع في الجنوب الغربي من تاهرت وعلى الضفة اليسرى لوادي مينا وكان أول من اختطها بنو سلامة من قبيلة بني توجين فنسبت إليهم بقلعة بني سلامة. ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص335.

De Slane. Ibid, p531.

(8) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص335.

(9) ابن خلدون، مج 13، ص339.

أما الجهة الجنوبية، فامتدت إلى وادي مصاب فجبال عمور لبني راشد إلى إقليم الزاب. وقد كانت الصحراء منتجعهم، ينزلونها في مشاتيهم[1]، رعيا لإبلهم واتقاءًا لشدة البرودة في المناطق التلية من أراضيهم.

وإن توزيع عبد القوي بن العباس لبطون وأحياء قبيلته على الحدود الشرقية والغربية يهدف من ورائه إلى اصطناع الموالي على الأمصار، والكل في طاعته تحت حكمه.

وإثر هذه التوسعات التي بلغها بنو توجين على يد رئيسهم عبد القوي، فقد حقق هذا الأخير سلطة سياسية وزعامة زناتية ضمن أقاليمه، ويصف لنا ابن خلدون هذا الملك في قوله "ولما تغلبوا على الأوطان والتلول، وأزاحوا مغراوة عن المدية والونشريس وتافركينت، واستأثروا بملكها وملك الأوطان من غربيها مثل منداس والجعبات وتاغزوت، ورئيسهم لذلك العهد عبد القوي بن العباس والكل لأمره، فصار له ملك بدوي لم يفارق فيه سكنى الخيام ولا إبعاد النجعة ولا ايلاف الرحلتين، ينتهون في مشاتيهم إلى مصاب والزاب، وينزلون في المصايف بلادهم هذه من التل"[2].

وبعد تحقيق تلك التوسعات، أخذ عبد القوي بن العباس في تحصين هذه الحدود خاصة السهلية منها وذلك لسهولة استحواذ العدو عليها فبنى الحصون، واختط حصن مرات[3]، وبنى القصبة منه، ولم يكمله، كما اختط سلامة بن علي بتاغزوت القلعة، فحصنها وتداول على رئاستها بنوه من بعده[4].، وسميت باسمه قلعة بني سلامة.

وبعد استحواذ عبد القوي بن العباس وقومه على الأمصار واتساع بلاده أصبح عليه أن يجتاز إلى مرحلة الدفاع للمحافظة على الأمصار، إذ دق ناقوس

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص321.
(2) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص321.
(3) حصن مرات: يذكر دي سلان أنه في خريطة شو حددت موقعها بين تاقدمت والونشريس.
De Slane. Ibid, p517.
(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص335.

الخطر من الجهة الشرقية من بلاد إفريقية، في حملة أبي زكريا الحفصي إلى بلاد المغرب الأوسط سنة 632هـ، وداخل هذا الأخير بلاد مغراوة فأطاعه بنو منديل بن عبد الرحمن بينما جاهر بالخلاف عبد القوي بن العباس وقومه من بني توجين، فنزل أبو زكريا الحفصي مدينة البطحاء وهزمهم، ألقى القبض على عبد القوي، واعتقله[1].

وباستقلال بني زيان بتلمسان سنة 633هـ[2]، تعرض بنو توجين إلى جبهة أخرى نازحة من الجهة الغربية، إذ اشتدت وطئة يغمراسن بن زيان عليهم، عندها أدرك عبد القوي بن العباس من ضرورة اكتساب حليف قوي تمثل في بني حفص، فتوجه كل من عبد القوي بن العباس رفقة العباس بن منديل نحو السلطان أبي زكريا الحفصي وتشجيعه للنهوض على يغمراسن وترغيبه لدخول تلمسان[3].

وقد تزامن استنجاد هؤلاء الأشياخ على أبي زكريا الحفصي مع ما ثار من شكوك لدى العاهل الحفصي من الصلات الطيبة بين يغمراسن بن زيان والرشيد الموحدي[4]، فاعتبر هذا التقارب تهديدا لسلامة بني حفص[5]، فقرر أبو زكريا الحفصي النهوض لتلمسان، وتمكنوا من دخول أسوار المدينة، ولما لم يجد السلطان الحفصي من يقلده حكم تلمسان، اضطر إلى إعادة يغمراسن بن زيان إلى الحكم مقابل الطاعة[6].

وإن مخاوف أبي زكريا الحفصي من ارتداد يغمراسن عليه، أجبرته أن يضع سدا منيعا أمام الخطر الموحدي[7]، فنصب شيوخ القبائل الموالية لبني حفص

---

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج12، ص597.
(2) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص204.
(3) ابن خلدون، العبر، مج 11، ص608.
(4) الرشيد الموحدي: هو عبد الواحد بن باديس بويع بالخلافة سنة 630هـ/1232م، وفي عهده اشتدت وطأة بني مرين وكثرت حروبه معهم وتوفي سنة 640هـ. أنظر: ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص. ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 12، ص532 وما بعدها.
(5) عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص21.
(6) يحيى ابن بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص205. التنسي، نظم الدر والعقيان، ص118.
(7) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص311.

حفص أمراءً كلُ على قومه[1]، ومن بينهم عبد القوي بن العباس الذي انتصب على قومه أميرا وقلده مراسم الملك[2] واعترف له بالاستقلال على مواطنهم وعلى ما يفتحونه من هذه البلاد.

وقد دامت رئاسته على قومه حوالي أربعين سنة، استطاع خلال السبع السنوات الأخيرة منها أن يلبس لباس الملك ويتقلد مراسمه ويقتعد كرسيه.

إذ أقام السلطان الحفصي احتفالا لمراسم الملك لهؤلاء الأمراء أمام حشد وملأ من الموحدين، واحتفلوا بمراسمها ببابه، وأذن لهم في اتخاذ الآلة[3]. هذا ورغم اعتراف بني حفص باستقلال بني توجين بمواطنهم، بينما رفض ذلك بنو عبد الواد فكان شن الهجمات المتكررة على أراضي بني توجين من أولويات أعمال يغمراسن بن زيان بعد عودته لحكم تلمسان[4].

وعلى إثر هذه الهجمات الزيانية على بلاد بني توجين لم يتمكن عبد القوي بن العباس من توطيد أركان دولته واكتفى بموقفه الدفاعي وردّ الهجمات إلى أن لقي مصرعه[5] بعد مشاركته في أول حرب نظامية إلى جانب يغمراسن بن زيان ضد بني مرين بأحواز وجدة وادي إيسلي، سنة 647هـ/1250م[6].

---

(1) ومن بينهم: العباس بن منديل على مغراوة وعلى بن منصور علي مليكش. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص205-206.

(2) عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مج 12، ص610. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص205.

(3) ابن خلدون، العبر، مج 13، ص322.

واتخاذ الآلة هي شارة من شارات الملك، والمظاهر الفخمة التي تميز السلطان عن غيره من حكام الدولة وأعيانها وموظفيها. والمقصود بالآلة هي مجموعة الطبول والأبواق والألوية والرايات التي ترافق موكب السلطان في الحروب والأعياد، وهي من مظاهر الأبهة والبذخ. وقد اختص سلاطين المغرب الحفصيين والمرينيين ومن قبلهم الموحدين بهذه الآلة، ومنعوا ولاتهم وعمالهم من استعمالها، وهذا يعني أن بلاد بني توجين لم تكن بولاية تابعة للحفصيين إنما هو اعتراف باستقلالهم بالملك وتحت حكم أميرهم عبد القوي بن العباس. أنظر: بوزيان الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ط 1993، ص100. ابن خلدون، المقدمة، تحت عنوان "شارات الملك والسلطان الخاصة به"، ص192.

(4) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص205-206.

(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص.322

(6) واقعة إسلي الأولى: ينظر لاحقا في الفصل الثاني.

4- ازدهار الإمارة و توسعها: (647-684هـ/1250-1286م) :

- محمد بن عبد القوي وسياسته في توطيد أسس الإمارة :

استطاع محمد بن عبد القوي منذ بداية عهده أن يبرز قوة شكيمته لاستبداده بالملك وانتزاعه من يد أخيه يوسف، والاستقلال برئاسة وإمارة قومه إذ يصفه عبد الرحمن ابن خلدون "بالفحل الذي لا يقرع أنفه"[1]، كما يصنفه أيضا من بين "عظماء أهل الطبقة الثانية من زناتة السابقين إلى الراية بين يدي دولهم والماهدين لملكهم بالمغرب الأقصى والأوسط" فيرتبهم على النحو التالي: "كبيرهم يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين، ويغمراسن بن زيان سلطان بني عبد الواد ومحمد بن عبد القوي" [2].

وإن مثل هذا الوصف وهذا التصنيف الذي بلغه محمد بن عبد القوي يجعلنا نبحث وننقب عن التطورات التي أدخلها محمد بن عبد القوي أثناء حكمه فميزته عن باقي الحكام، وكذا عن السياسة التي اتبعها، والتي من شأنها حققت له ولإمارته هذا التوسع والازدهار.

ولنا أن نستشف ذلك من خلال تطوير علاقاته الخارجية بدول المغرب الإسلامي آنذاك، والمشاركة في الأحداث السياسيـــة الكبرى كحملة لويس التاسع الصليبية على تونس سنة 668هـ/1270م[3] والحصار الأول على تلمسان 670هـ/1271م[4] والثاني سنة 680هـ/1281م[5] وغيرها من الأعمال التي عُظمت فيها إمارته وقويت فيها سلطته.

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص323.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 11، ص208.
(3) روباربرنشفك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15 ميلادي، ترجمه إلى العربية حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1988، ج1، ص91.
(4) علي بن عبد الله ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، د.ط، 1972، ص132. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص309.
(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص337.

ففي بداية عهده اضطربت علاقته مع يغمراسن بن زيان بعد أن جدد هذا الأخير حروبه على البلاد الشرقية من أراضي بني توجين ومغراوة، وفي سنة 649هـ/1251م نهض يغمراسن إلى بلاد بني توجين[1]، وعاث في بلادهم، لكن محمد بن عبد القوي استطاع الدفاع عنها ثم زحف إليه ثانية سنة650هـ/1252م وقصد حصن تافركينت محاولا اقتحامه فحاصره أياما، إلا أن علي بن زيان بن محمد، حفيد محمد بن عبد القوي استطاع رده، وأحكم الدفاع عنه. وواصل يغمراسن بن زيان شن هجماته وغاراته على بلادهم[2]، وأكثر تركيزه كان على الحصون.

وسرعان ما يجد محمد بن عبد القوي نفسه مضطرا للرضوخ وإيجابة دعوى يغمراسن بن زيان في مساندته بالعدة والعتاد في معركته مع بني مرين التي جرت وقائعها بكلدامان[3] ما بين تازى والريف سنة 656هـ/1259م.

ولم يتمكن محمد بن عبد القوي من الصمود طويلا أمام ضربات بني زيان المتكررة خاصة تلك التي كان يوجّهها إليهم بعد كل هزيمة كان يتعرض لها يغمراسن بن زيان أمام بني مرين وهو يهدف من ورائها استعادة فرض هيبته التي كان يفقدها بعد الهزائم المتتالية.

وسرعان ما تحسنت علاقة بني زيان ببني حفص عندما أصهر يغمراسن بن زيان ابنه وولي عهده عثمان بابنة السلطان أبي إسحاق إبراهيم بن أبي زكريا الحفصي[4].

وأمام هذا الوضع الصعب الذي آل إليه بنو توجين من قِبَل أبناء العم فما هي السياسة التي انتهجها محمد بن عبد القوي للحفاظ على كيان دولته من جهة وإيقاف زحف بني زيان على بلادهم من جهة أخرى ؟.

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص179.
(2) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص180.
(3) واقعة كلدامان : ينظر لاحقا في الفصل الثاني.
(4) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص207.

من خلال الأحداث التي آل إليها المغرب الإسلامي خاصة بعد اعتلاء بني مرين عرش الموحدين سنة 668هـ[1] برزت الحنكة السياسية لمحمد بن عبد القوي في استغلال هذه الأوضاع لصالحه، فقد كان جل تركيزه على توطيد العلاقات الخارجية مع الكيانات السياسية القائمة على جانبي المغرب الأوسط والمتمثلة في بني حفص وبني مرين والتي من شأنها تعطيه الدعم المادي والتأييد السياسي ومن ثم التفرغ للشؤون الداخلية.

وكانت أولى اتجاهاته، نحو بني حفص على اعتبار أنهم أول من اعترفوا لبني توجين بالاستقلال بمواطنهم، ومواصلة لسياسة والده عبد القوي جدّد لهم محمد بن عبد القوي العهد والولاء وكان ذلك سنة 664هـ[2]، كما كان له الدور الفعال والمشرف من خلال مشاركته ودعمه لجيوش بني حفص عدة وعتادا في جهادهم ضد الحملة الصليبية الثامنة سنة 668هـ[3].

وإزاء ما بادر من محمد بن عبد القوي من مواقف مشرفة فقد أسنى له ملوك بني حفص إقطاعات زادت من حدود إمارته كما تلقى منهم الهدايا والعطايا[4]. وبمجرد اعتلاء بني مرين العرش الموحدي سنة 668هـ وبروز الصراع الزياني-المريني على أوجّه، حتى نجد محمد بن عبد القوي يستغل الظروف الجارية ويستفيد منها فصرف ولاءه لبني مرين خاصة بعد تحسن العلاقة الزيانية الحفصية[5]. فسارع وأوفد ابنه زيان على السلطان يعقوب بن عبد

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص307.
(2) ابن خلدون، العبر، مج 12، ص660.
(3) عن تفاصيل ودور بني توجين في الحملة الصليبية الثامنة سيأتي لاحقا في الفصل الثاني.
(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص324.
(5) كان السلطان يغمراسن قد عمل على تصفية الجو السياسي وتنقيته مع بني حفص وربط صلة قوية معهم عن طريق المصاهرة، إذ أرسل وفدا هاما إلى تونس ليخطب ابنة السلطان أبي إسحاق إبراهيم (678-683هـ/1279-1284م) لابنه الأمير، وولي عهده أبي سعيد عثمان، وبعد وفاة يغمراسن ثم واصل بعد عثمان وجدد البيعة والولاء للسلطان أبي إسحاق الحفصي. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العد الزياني، ج1، ص24.

الحق[1] يعلمه بولائه لهم[2] وعن مساندته وتحالفه معهم في حروبهم ضد بني زيان.

وأثناء هذه الفترة التي احتدم فيها الصراع المريني-الزياني جرت وقائع مشهودة كواقعة وادي إيسلي الثانية 670هـ[3] وواقعة خرزوزة 680هـ[4] والتي عرف فيها المغرب الأوسط هيمنة مرينية. فقد تمكن محمد بن عبد القوي من استغلال هذا الوضع وأخذ في توسيع حدود إمارته والتفرغ للشؤون الداخلية فأخذ في تجميع ثروات مالية معتبرة وأنواع جمة من الهدايا والعطايا التي كان يتلقاها من قِبل السلطان المريني أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق نظير ولائه له وتحالفه معهم في الوقائع والحروب ضد بني زيان.

---

(1) هو يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد المريني الزناتي، بويع بالخلافة بفاس سنة 656هـ/1258م وتابع سياسة أسلافه في الاستيلاء على مناطق المغرب من يد الموحدين إلى أن تمكن من الإطاحة بعرشهم ودخول مراكش سنة 668هـ، وتوفي أواخر 685هـ/1286م. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص297-298.

(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص381.

(3) واقعة إسلي الثانية: ينظر لاحقا في الفصل الثاني.

(4) واقعة خرزوزة : ينظر لاحقا في الفصل الثاني

- الإنجازات التوسعية لمحمد بن عبد القوي:

تمكن محمد بن عبد القوي من توسيع الحدود الشرقية لإمارته بعدما أقطعه السلطان الحفصي المستنصر بالله[1] منطقتي مقرة[2] وأوماش[3]من بلاد الزاب.

وفي ظل الهيمنة المرينية على المغرب الأوسط تغلب محمد بن عبد القوي على مواطن صنهاجة التي كانت تسكن جبال المدية، كما استولى على حصنها، فتمهدت له بذلك المدية وضواحيها وأسكن فيها من حشمه (الحشم) أولاد عزيز بن يعقوب وجعلها لهم موطنا، كما أخرج عرب الثعالبة[4] من جبل تيطري وألجأهم إلى بسائط متيجة[5].

وزاد في توسيع إمارته فأصبح ينزل الدوسن[6] ومقرة والمسيلة، فتحددت بذلك حدود إمارته ما بين مواطن بني راشد بجبل هوارة[7] إلى بلاد صنهاجة شمالا، وما في جنوب ذلك من بلاد السرسو وجباله إلى أرض الزاب[8]، وهذا أقصى اتساع بلغته إمارته في عهد تطورها.

---

(1) المستنصر بالله: وهو ثاني سلاطين بني حفص بويع بالخلافة سنة 647هـ/1249م، وفي عهده شن الصليبيون حملتهم الثامنة على تونس وكانت سنة 668هـ/1270م وتوفي سنة 675هـ/1277م. ابن قنفذ، الفارسية، ص117. ابن الشماع، الأدلة البينة النورانيّة، ص 62-74.

(2) مقرة: بلدة تقع في إقليم الزاب بين بريكة والمسيلة وكما يذكرها البكري "بلد كبير ذو ثمار وأنهار ومزارع". البكري المغربي ذكر إفريقية والمغرب، ص51. الإدريسي، نزهة المشتاق، ص119.

(3) أوماش: وهي إحدى مدن بلاد الزاب وتقع في الجنوب من بسكرة . De Slane. Ibid, p492.

(4) عرب الثعالبية: هم بطن من بطون عرب المعقل وإخوة بنو عبيد الله كانت مواطنهم بجبل تيطري فتغلب عليهم محمد بن عبد القوي وأزاحهم إلى متيجة. أنظر ابن خلدون، المصدر السابق، مج 11، ص126 وما بعدها.

(5) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص326.، مج 11، ص128.

(6) الدوسن: قرية من قرى الزاب تبعد 60 كلم إلى الجنوب الغربي من بسكرة. أنظر: حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص140-141.

(7) جبل الهوارة: كان هذا الجبل موطنا لبني يلومي ثم زحف إليه بنو راشد من مواطنهم الجنوبية واستولوا على هذا الجبل وصار حصنا لهم وهو يقع ما بين وادي مينا ووادي السيق وفيه بساتين وثمار وأشجار ومزارع ويشقه نهر سيرات الذي يسقي أكثر أره، وقريب من البطحاء (جبال بني شقران حاليا). أنظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص315-316. الحميري، الروض المعطار، ص370.

(8) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص326.

- **الموارد المالية**

استطاع محمد بن عبد القوي من توفير ثروة مالية لإمارته فسعد قومه بهذه الثروة وتحقق الرخاء لقومه.

وإن مصدر هذه الأموال فقد كان يجنيه محمد بن عبد القوي من طريقين:

1/ عن طريق الهدايا والأموال الجمة نظير مساهماته العسكرية وولائه للقوى السياسية القائمة (الحفصية والمريينية)، فقد تلقى من السلطان المستنصر الحفصي بعدما وافاه وهو مقيم بالمسيلة جزيل العطايا والهدايا ونترك ابن خلدون يصفها لنا: "وأثقل كاهله بالحباء، والجوائز، وجنب له الجياد المقربات[(1)] بالمراكب المثقلة بالذهــب، واللّجم والمحلات، وضرب له الفساطيط الفسيحة الأرجاء من ثياب الكتـــان وجدل القطن، إلى ما يتبع ذلك من المال والظهر[(2)] والكراع[(3)] والأسلحة"[(4)]، وقد شملت عطاياه النقود والذهب والكسوة والجياد بمراكبها والأسلحة...إلخ، ناهيك عن جائزته لما بادر منه في جهاد النصارى فيصف ابن خلدون: "أسنى السلطان جائزته وعم بالإحسان وجوه قومه[(5)] وعساكره"[(6)].

أما ما تلقاه من هدايا بعد توجيه ولائه للناحية الغربية، فقد أجزى السلطـــان يعقوب بن عبد الحق بدوره لمحمد بن عبد القوي وقومه بعد واقعة وادي ايسلي 670هــ بالجياد المردفة بمراكبها والإبل والألبسة الفاخرة والأموال الكثيرة فيصفها ابن خلدون:« وملأ حقائبهم باتحافه، وجنب لهم مائة من الجياد، العتاق بالمراكب الثقيلة وأراح عليهم ألف ناقة حلوب، وعمّهم بالصلات والخِلع الفاخرة،

(1) الجياد المقربات : التي تقرب ولا تترك بعيدة لئلا يقرعها فحل غير جيد، يفعلون ذلك ليحفظوا لها النسب الحر. أنظر: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الأندلسي، رحلة ابن خلدون. تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1425هــ/2004م، هامش ص85.
(2) الظهر : الركاب التي تحمل الأثقال في السفر كالإبل، أنظر: أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط1، 1997، مح4، ص232.
(3) الكراع: اسم يجمع الخيل والسلاح. أنظر: لسان العرب، مج 5، ص394.
(4) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 12، ص660.
(5) وجوه قومه: كبار قومه وأعيانهم
(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص324.

واستكثر لهم من السلع والغازات والأخبيات، والحملان[1] »[2]، ونفس العطايا قدّمها يعقوب بن عبد الحق لمحمد بن عبد القوي قومه بعد مشاركتهم في معركة خرزوزة سنة 680هـ [3].

فكوّن بذلك ثروة من هذه الهدايا والأعطيات إلى درجة أنه كان يتبادل الهدايا مع السلطان المريني ففي سنة 675هـ بعث محمد بن عبد القوي للسلطان المريني بأربعة من الجياد انتقاها من خيل المغرب كافة[4].

2/ أو عن طريق الجبايات والمغارم التي كانت تدفعها القبائل العربية منها والبربرية. فقد أخذت الجبايات والمغارم من عرب حصين التي أنزلها بنو توجين بجبل تيطري بعد أن تغلبوا على الثعالبة، فأصبحت قبائل حصين في عداد الرعايا[5]، كما كانت تأخذ المغارم من قبائل مطماطة[6].

ومع ما بذله محمد بن عبد القوي من جهود دامية في تطوير البلاد من جهة ومواجهة المد الزياني على بلادهم من جهة أخرى مستغلا بذلك كل الظروف والأحداث الجارية على أرض المغرب الإسلامي إلا أنه قد تجري الرياح بما لا تشتهيـــه السفن، فبعد وفاة يغمراسن بن زيان سنة 681هـ/1283م[7] وتولي ابنه ابنه

(1) الحملان: ما يحمل عليه من الدواب في الهبة الخاصة. أنظر: ابن منظور، المصدر نفسه، مج 2، ص158.
(2) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص324.
(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص337.
(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص403.
(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج11، ص128
(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 11، ص254
(7) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص207.

أبي سعيد عثمان[1] الذي استهل حكمة، بابتهاج سياسة مسالة بني مرين[2] عملا بوصية والده يغمراسن[3] وتفرغ بذلك لبناء دولته، وتوسيع رقعتها في الجهة الشرقية، ومخاطبة السلطان أبي إسحاق الحفصي بالمبايعة والولاء[4]، وبالتالي يكون عثمان بن يغمراسن قد أبعد عن دولته خطر الجارتين وتهديداتهما فتفرغ لإخضاع المناطق الشرقية التي خرجت عن طاعته والمعارضة للسلطة الزيانية، في مقدمتهم بنو توجين[5].

وتفرغ لإخضاع بني توجين ومغراوة[6]، فكثر إجلابه على بلادهم وردّد غاراته على جبال الونشريس محاولا اقتحامه سنة 682هـ وشدد عليه الحصار فامتنع به محمد بن عبد القوي وأحسن الدفاع عنه، في حين أن النواحي من بلاده قد لحقها الدمار والفساد من الجيوش الزيانية[7]. ولم تمض سنتان حتى توفي محمد محمد بن عبد القوي أي سنة 684هـ/128م[8] بوفاته طوت إمارته عهد ازدهارها ودخلت مرحلة الانقسام والتفكك.

(1) عثمان بن يغمراسن: ثاني أمراء الدولة الزيانية حكم (681هـ-703هـ/ 1283-1304) تميز عهده بتردد غزوات بني مرين على تلمسان في خمس محاولات لاقتحام تلمسان فكانت الحركة الأولى لأبي يعقوب يوسف بن عبد الحق سنة 689هـ/1290م، والثانية سنة 695هـ/1296م، والثالثة وقعت سنة 696هـ/1297م والرابعة كانت سنة 697هـ/1298 أما الخامسة وهي أطولها من الناحية الزمنية وأشدها عنفا وأكثرها عددا، فقد كانت في سنة 698هـ/1299م، وهلك سنة 703 هـ تحت هذا الحصار. أنظر: ابن خلدون، العبر، مج 13، ص188 وما بعدها. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد،ج1، ص208-209. التنسي، نظم الدر، ص131.

(2) ابن خلدون، العبر، مج 13، ص190.

(3) "انفرد ابن خلدون بإيراد نصها نقلا عن شيوخه، على لسان الحاكم الزياني أبي حمو موسى بن عثمان قال "وحاول ما استطعت في الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين (الحفصيين) وممالكهم، يستفحل به ملكك، وتكافئ حشد العدو بحشدك، ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك". ابن خلدون، العبر، مج 13، ص189-190.

(4) ابن قنفذ، المصدر السابق، ص72.

(5) فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص26.

(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص190.

(7) ابن خلدون، المصر نفسه، مج 13، ص327.

(8) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص327.

5- ظهور الفتن والانقسامات الداخلية:

وبمهلك محمد بن عبد القوي سنة 684 هـ، دخلت إمارة بني توجين مرحلة اللاأمن وفترة اضطرابات وفتن داخلية وخارجية بسبب وطأة السلطة الزيانية والهيمنة المرينية، فانقسمت إمارة بني توجين إلى إمارات صغيرة مستقلة.

- تنازع بني عبد القوي على الرئاسة:

لم يحسن أبناء محمد بن عبد القوي تسيير شؤون إمارتهم بعد وفاته، فكثرت بينهم النزاعات والخلافات وتدبير المؤامرات، فدب الضعف في كيان دولتهم بصفة عامة، وأطمعوا فيهم الأعداء.

اشتد الصراع على رئاسة القوم والظفر بالسلطة بعد وفاة محمد بن عبد القوي فكان تدبير المؤامرات والاغتيالات سمة هذه الفترة، فلم تطل مدة حكم أي منهم، وقد خلف محمد بن عبد القوي سلسلة حكام في فترة وجيزة هم:

* سيد الناس (684هـ): خلف أباه محمد بن عبد القوي ولم يلبث سنة أو نحوها في رئاسة القوم وقتله أخوه موسى[1].

* موسى بن محمد (684هـ-686هـ): أقام هذا الأخير في إمارة بني توجين نحو عامين وذلك بسبب ما وقع بينه وبين أهل مرات، فأراد أن يستأصل شوكتهم فتوجه لحربهم، ولقي حتفه بحصن مرات[2].

* عمر بن اسماعيل 686هـ: أما هذا لم تدم مدة حكمه أكثر من أربعة أيام، إذ غدر به أولاد عمه زيان بن محمد، فقتلوه، وولوا كبيرهم إبراهيم بن زيان.

* إبراهيم بن زيان (686هـ-687هـ): وبدوره لم تدم فترة حكمه أكثر من سبعة أشهر، بسبب المؤامرة التي حيكت بين عثمان بن يغمراسن الزياني وبين

(1) ابن خلدون المصدر السابق، مج 13، ص327.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص327.

كبير بني مادون زكدان بن أعجمي، هذا الأخير الذي دبّر لاغتياله بالبطحاء[1]، وقد تميزت فترة حكمه عن بقية بني عبد القوي إذ يصفه ابن خلدون "كان حسن الولاية فيهم، ويقال ما ولي فيهم بعد محمد مثله" [2].

* موسى بن زرارة بن محمد (687هـ-688هـ) [3]: ولم تبايعه إلا بنو تيغرين القاطنون بجبال الونشريس، ورفضت رئاسته سائر أحياء بني توجين عن مبايعته[4].

- تشتت قبائل بني توجين و بداية الإنفصال:

لقد ساهمت الفتن الداخلية التي ظهرت بين قبائل وبطون بني توجين وتنافس بين عبد القوي على الرئاسة والحكم إلى تنبيه عثمان بن يغمراسن لاستغلال الوضع الذي آل إليه بنو توجين وأخذ العاهل التلمساني أبو سعيد عثمان يسلك مسلك التضريب بينهم واستألاف قوم دون الآخر، وعلى إثر ذلك كرّر هجماته العسكرية على بلادهم، وقد كانت غاراته موجهة نحو قاعدة ملكهم ومنبت عزهم بجبال الونشريس[5]، إضافة أنه كان يردد غزواته على حصون الإمارة لتهديمها وبالتالي إسقاط إمارتهم.

كانت أول غزواته نحو جبال الونشريس سنة 686هـ فحاصرهم به وألحق بهم الفساد والخراب، كما نقل خيرات البلاد من زروع وحبوب إلى مازونة[6]، ثم عاود مناهضة بني توجين بالجبل سنة 687هـ، بعدما شتت شملهم فملكه، وفرّ

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص 328.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص327.
(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص191.
(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص328.
(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص191.
(6) مازونة: مدينة قديمة بناها الرومان وهي تقع على بعد نحو 40 ميلا من البحر وقد تعرضت للتخريب من قبل ملوك تونس والثوار وكذا لاكتساحات الأعراب إذ لم يجد صاحب الرحلة المغربية بها من عمران يوصف. أنظر: محمد العبدري، الرحلة المغربية، تحقيق: أحمد بن جدو، د.ط، د.ت، ص131. حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص36.

أميرهم موسى بن زرارة نحو المدية أين لقيه السلطان عثمان بن يغمراسن بها فهلك سنة 688هـ، وأصبح الجبل تابعا إلى إيالات بني زيان[1] إلى داهم بنو مرين حاضرة تلمسان سنة 698هـ/1299م وحاصروها فانشغل عثمان بن يغمراسن بذلك وولى على بني توجين أبو بكر بن إبراهيم بن محمد بن عبد القوي، واستعاد بذلك بنو عبد القوي الحكم على بلادهم[2].

أما أهل تافركينت فقد ترددت غارات بني زيان على هذا الحصن لأهميته الاستراتيجية، وقد حاول يغمراسن بن زيان شن عدة غارات ولكن دون جدوى، وقد كان متولي أمر هذا الحصن علي بن زيان بن محمد وقائده آنذاك غالب الخصي فاستطاع هذا القائد أن يرسخ قدمه بهذا الحصن فكثر ماله وولده، وأحسن الدفاع عنه من هجمات بني زيان، إلا أن بني عبد القوي قد أنفوا من استحكامه وسيطرته على الحصن فحاولوا التخلص منه[3]، فبادر هذا القائد إلى تسليمه لعثمان بن يغمراسن بعدما حاصره سنة 686هـ[4].

في حين أن بني سلامة كما سبق الذكر هم بنو سلامة من بني يدللتن الذين أسكنهم عبد القوي بن العباس بتاغزوت واختطوا القلعة بها فتناسل بنو سلامة وورثوا الرئاسة على بني يدللتن بهذه القلعة، يعطون الطاعة لعبد القوي بن العباس ثم لابنه محمد من بعده، وكانت رئاستهم لسلامة بن علي ثم قام بأمرهم بعد ذلك ابنه يغمراسن بن سلامة.

وبعد مهلك أمير بني توجين محمد بن عبد القوي، وظهرت الفتنة بين بنيه اشتدت وطأة عثمان بن يغمراسن بن زيان على بلاد بني توجين، فردد هذا الأخير الغزو على قلعة بني سلامة، فنشبت حرب بينهم، هلك فيها يغمراسن بن سلامة،

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص191.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص328.
(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص180.
(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص191.

وقام أخوه محمد بن سلامة بالرئاسة على قومه من بعده[1]، الذي أذعن لطاعة عثمان بن يغمراسن ونبذ العهد لبني محمد بن عبد القوي وكان ذلك سنة 686هـ[2].

أما أولاد عزيز فلم يوضح ابن خلدون عن مدى انتسابهم إلى بني توجين واكتفى بذكر مكانتهم لدى بني عبد القوي إذ اتخذوهم بمنزلة الإيثار والتجلة وبمجرد استيلائهم على ألمدية أسكن محمد بن عبد القوي أولاد العزيز بها وأقطعهم إياها. ولم تكن المدية بمنأى عن ضربات بني زيان.

فقد نهض عثمان ابن يغمراسن إلى ألمدية بعدما ملك جبال الونشريس متبعا أثر موسى بن زرارة بن محمد أمير بني توجين الذي لجأ إلى نواحي هذه المدينة فدخلها سنة 688هـ، بعدما أمكنه منها قبائل لمدية أهل هذه المدينة، وغدروا بأولاد عزيز الذين كانت لهم الرئاسة عليهم ثم انتقضوا عليه بعد سبعة أشهر فقط ورجعوا في طاعتهم لأولاد عزيز[3].

ثم زحف عثمان بن يغمراسن ثانية إلى إيالة أولاد عزيز بالمدية فصالحوه على الطاعة[4] وبذلك استحكمت المدية وبمن فيها من قبائل لمدية وأولاد عزيز في طاعة بني زيان، وبسقوط كل من جبال الونشريس –حصن تافركنيت– قلعة تاغزوت– المدية فقد دانت لعثمان بن يغمراسن بن زيان سائر بلاد بني توجين وصارت في إيالته يعطونه الإتاوة والجباية مقابل الطاعة، متبعا في ذلك سياسة تشتيت الشمل والتضريب بين قبائل بني توجين وتحريضهم على الأمراء من بني محمد بن عبد القوي[5].

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص335–336.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص191.
(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص328.
(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص192.
(5) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص328.

* أبو بكر بن إبراهيم بن محمد بن عبد القوي (698-700هـ):

تولى أمر بني توجين، فأساء السيرة، ولم يتمكن خلال ولايته من تحقيق الوحدة بين قبائل وأحياء بني توجين[1]، وشارك إلى جانب عساكر بني مرين في حربهم ضد راشد بن محمد بن ثابت الثائر من مغراوة سنة 700هـ، ويحتمل أنه قد لقي حتفه في هذه الحرب[2].

* عطية بن إبراهيم بن محمد بن عبد القوي: المعروف (بعطية الأصم) :

بعد مهلك أبي بكر بن إبراهيم، استحكم بنو تيغرين بجبال الونشريس وتولوا تنصيب أخيه عطية على بني توجين، إلا أن أولاد عزيز بالمدية وباقي أحياء بني توجين قد خالفوهم على تنصيبه، وبايعوا بدورهم ليوسف بن زيان بن محمد وخرجوا على بني تيغرين بجبال الونشريس لتنحية عطية الأصم وتنصيب يوسف مكانه، فحاصروهم بالجبل أزيد من سنة[3].

وصادف أن وقعت حاضرة تلمسان تحت الحصار المريني سنة 698هـ[4] والذي دام ما يزيد عن ثمان سنوات اكتسح خلالها بنو مرين بلاد المغرب الأوسط فانتهز يحيى بن عطية كبير بني تيغرين الوضع، وبينما السلطان يوسف بن يعقوب المريني[5] بمكانه من حصار تلمسان بالمنصورة حتى وفد عليه يحيى بن عطية، ورغّبه في ملك الونشريس ومستصرخا به من حصار إخوتهم من قبائل بني توجين، فاستجاب له السلطان المريني لطلبه وأردفه في جملة عساكره المتوغلة في قاصية الشرق لإخضاع البلاد والمنقادة لقائدها أبي يحيى أخو السلطان المريني[6]، وفي طريقه وبأمر من السلطان المريني أعاد بناء البطحاء

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص328-329.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص460.
(3) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص329.
(4) الحصار الطويل: ينظر لاحقا في الفصل الثاني.
(5) يوسف بن يعقوب: هو ثاني سلاطين دولة بني مرين حكم من (685-706هـ/1286-1308م) وتميز عهده بالحصار الطويل الضارب على تلمسان وبنائه للمنصورة. أنظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص374. ابن الأحمر، روضة النسرين، ص30-31.
(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص329.

التي هدمها محمد بن عبد القوي فبناها وتوغل نحو الشرق ولما انكفأ راجعا في طريق عودته صمد إلى جبال الونشريس فدخله وهدم حصونه، وشرد أهله، وفر بنو عبد القوي أمامه نحو مواطنهم الجنوبية بالصحراء وذلك سنة 702هـ/130م[1].

وفي سنة 703هـ أتاه أهل تافركنيت بالطاعة ثم انتقضوا عليه بعد صدوره عنهم ولما وصل إلى المدية افتتحها صلحا وأطاعه أهلها[2]، كما أمر السلطان المريني ببناء قصبة المدية سنة 704هـ/130م وأكمل بناءها سنة 705هـ[3].

وأمام هذا النفوذ المريني على أغلب أراضي بني توجين وبلادهم لم يجد بنو عبد القوي بدا من مخالفتهم لبني مرين، فوفدوا على السلطان يوسف بن يعقوب المريني بالمنصورة سنة 703هـ وأعطوه الطاعة، وقد راعى في ذلك سابقتهم وخدماتهم في حروبهم معهم ضد بني زيان، فأعادهم إلى بلادهم وتولى السلطان المريني أمر الولاية العزل فيمن يراه الأنسب على رئاسة البلاد[4].

وولوا <u>علي بن الناصر بن عبد القوي (703هـ)</u>: وجعلوا وزارته ليحيى بن عطية كبير بني تيغرين، فاستغلط عليه هذا الأخير وغلبه على دولته[5].

ولما توفي علي بن الناصر، عقد السلطان يوسف بن يعقوب المريني مكانه <u>لمحمد بن عطية الأصم</u> فأطاعه على الولاية والحلف ثم نقض على لني مرين الطاعة بعد مهلك السلطان يوسف المريني سنة 706هـ/1306م،لسنة 706هـ[6].

706هـ[6].

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص462.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص329.
(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج13، ص329. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص106.
(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص462-463.
(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص329.
(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص463.

وفي ظل النفوذ المريني استطاع عرب سويد من امتلاك أرض السرسو جنوب جبال الونشريس بعد أن غلبوا بني توجين عليها للضعف الذي دبّ كيان إمارتهم[1].

- انتزاع الرئاسة من بني عبد القوي و استبداد بني تيغرين بها:

بعد وفاة يوسف بن يعقوب المريني سنة 706هـ/1307م انفك الحصار عن تلمسان، واسترد بنو زيان سلطانهم في المغرب الأوسط، بعد أن تنازل لهم السلطان أبو ثابت المريني[2] عن جميع الأعمال والتي كان جده يوسف قد استولى عليها من بلادهم[3]، وكان من ضمنها بلاد مغراوة وبلاد بني توجين وذلك معاهدة الصلح بين الدولتين، فكان أول ما افتتح به السلطان أبو زيان بن محمد بن عثمان (703-707هـ/1304-1308م) عهده هو إعادة بسط النفوذ الزياني وإخضاع القبائل المشاقة، وقصد بلاد مغراوة، ثم مر ببلاد بني توجين، وكل بأعدائه وأرغم الجميع على الخضوع[4]، وخرج السلطان أبو زيان الأول رفقة أخيه أبي حمو من من تلمسان يوم الخميس 20 ذي الحجة 706هـ/22 جوان 1307م، واستولى على السرسو واحتوى على جميع أرجاء الشلف، ثم عرج نحو بلاد بني توجين، وانضوت بأجمعها تحت طاعته[5]، فأطاعه بنو تيغرين من الحشم[6] وبنو عبد القوي ورئاستهم يومئذ لمحمد بن عطية الأصم[7]. ولم يتوان باقي سلاطين بني زيان في تذليل وتمهيد المغرب الأوسط وإخضاع قبائله تحت النفوذ الزياني، إذ

---

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 11، ص98.
(2) أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف سلطان بني مرين حكم فترة (706-708هـ/1307-1310م)، أنظر إسماعيل ابن الأحمر، ص32. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص389.
(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص390.
(4) عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، ص112.
(5) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص157.
(6) الحشم: تعني الأعوان والأنصار من الأهل أو العبيد أو الجيرة لكن يبدو أن استعمال الكلمة كان قليلا، وردت عنه ابن صاحب الصلاة وحملت معنى القبائل البربرية من غير الموحدين. ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص92.
(7) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص202.

عمل أبو حمو موسى الأول [1] مما لم يقدر عليه سلفه إنجازه، فلم يبالِ بالأحداث الجارية في المغرب الأقصى، بل كرّس جهده بالمغرب الأوسط خاصة الناحية الشرقية منه[2]، فكان أول ما افتتح به السلطان أبو حمو موسى أعماله الإدارية أن سعى في مسالمة بني مرين ومهادنتهم[3]، تأمينا لظهره، فأوفد كبراء ووزراء الدولة إلى السلطان أبي ثابت حيث أمضوا صلحا معا حسبما كان يريد[4]، ثم لما اطمأن على ملكه من الناحية الغربية اشتغل بتطهير الحواشي والجوانب المحيطة به فأخذ في تذليل القبائل المنشقة عنه كمغراوة وتوجين[5].

فقد طرد محمد بن عطية الأصم عن نواحي الونشريس ودوّخ بلادهم وأخضع أقوامهم ثم رجع إلى تلمسان، ثم نهض إليهم ثانية سنة 710هـ/1312م ونزل حصن تافركينت فأطاعوه وأخذ المراهين منهم ثم سلمه لبني تيغرين، وتعقب من بقي من أعقاب محمد بن عبد القوي بتشريدهم عن البلاد واحتز رئاستهم[6] في بني تيغرين دونهم[7]، فلحقوا ببلاد الموحدين أين لقيهم ملوك بني حفص بإفريقية مبرة وتكريما[8]، وأخذ في الاستمالة القوم دون الآخر لتشتيت شملهم، وعقد لكل كبير من القوم على رئاسة قومه وضمن بذلك عدم اجتماع أحياء هذه القبيلة مرة أخرى (سياسة فرق تسد) والكل لطاعة أبي حمو، فتكونت بذلك عدة إمارات صغيرة [9].

---

(1) أبو حمو موسي: هو أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن حكم (707هـ-718هـ/1308-1318م) وفي عهده ثار محمد بن يوسف، أنظر: يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص212. التنسي، نظم الدر والعقيان، ص132.

(2)Atallah Dhina, le royaume Abdelouadide a l'époque d'Abou Hamou Moussa 1er et d'Abou Tachfin 1er, Alger, Office des publications universitaires, p94.

(3) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ العام، ج2، ص158.

(4) يحيى بوعزيز، المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية (1236-1554هـ)، مجلة الأصالة، الجزائر، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، السنة الرابعة، 1395هـ/1975م، العدد 26، ص16.

(5) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع نفسه، ج2، ص158.

(6) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج 1، ص213.

(7) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص204.

(8) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص330.

(9) أحمد بوزيان، تيارت في ظل الإسلام، ص33.

*** انفراد بني تيغرين بالرئاسة في الونشريس :**

بعد أن احتز أبو حمو موسى الرئاسة من بني عبد القوي وألجأهم خارج بلادهم، خلا الجو لبني تيغرين القاطنين بهذا الجبل فتغلبوا عليه[1]، وقد اختصهم أبو حمو دونا عن باقي القبائل الأخرى لضمان إخلاصهم[2]، فعقد لكبيرهم يحيى بن عطية على رئاسة قومه بجبال الونشريس، وأقام هذا الأخير على رئاستهم أياما ثم هلك، فخلفه أخوه عثمان بن عطية على قومه ثم هلك، وولي من بعده ابنه عمر بن عثمان، واستقل مع قومه بالجبل[3].

وقد بالغ أبو حمو موسى في أخذ الرهن منهم، كما عين يوسف بن حيون الهواري قائدا وواليا على كافة بلاد بني توجين، وصارت جبال الونشريس ومنداس عمالات زيانية[4]، ونظرا لهذه السياسة المتعسفة، لم يتوان على إثرها عمر بن عثمان وقومه من الانضمام مع أول ثائر خارج عن السلطة الزيانية، فقد انضم عمر بن عثمان إلى الثائر محمد بن يوسف[5]. لكن سرعان ما انقلب عليه ولحق بأبي تاشفين بن أبي حمو الزياني[6] بعد أن أخذته الغيرة من أولاد عزيز الذين اختصهم محمد بن يوسف الثائر دونهم[7]، فكان عمر بن عثمان دليل تاشفين تاشفين

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص330.

(2) Atallah Dhina, Op.cit, p93.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص330

(4) يوسف بن حيون الهواري: وقد عينه أبو حمو موسى الأول قائدا على عمالة توجين، والقائد في دولة بني عبد الواد يغلب على مهمته الطابع العسكري وذلك ليضمنوا حماية عمالاتهم ضد كيد الأعداء، ويلزموا بطاعة سلطانها فهم الأداة القاهرة إذا اقتضى الأمر. أنظر بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد، ص192.

(5) عن ثورة محمد بن يوسف، ينظر لاحقا في الفصل الثاني.

(6) أبو تاشفين بن أبي حمو: خامس ملوك بني عبد الواد، حكم فترة دامت (718-737هـ/1318-1337م) وفي عهده تعددت الوقائع بينه وبين الحفصيين على كل من بجاية وقسنطينة، مما ألزم بالحفصيين للاستنجاد لبني مرين فكانت النتيجة وقوع تلمسان تحت النفوذ المريني على يد أبي الحسن المريني والذي دام (737-749هـ/1337-1348م). أنظر: يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص215-219. التنسي، نظم الدر والعقيان، ص143-144. ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص221-230.

(7) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص331.

الزياني في القبض على الثائر بحصن توكال[1]. وظل بنو تيغرين على ولائهم وطاعتهم لبني زيان إلى أن هلك رئيسهم عمر بن عثمان رفقة السلطان أبي تاشفين الزياني تحت حصار أبي الحسن المريني سنة 737هـ/1338م[2].

خلف نصر بن عمر بن عثمان والده، وجدد ولاءه -لأبي الحسن المريني[3] المريني[3] وفي عهده استجدت الفتنة بينه وبين بني تيغرين وأولاد عزيز- واختلفوا في تولية أحد من أبناء عبد القوي فعين بنو تيغرين مسعود بن بوزيد بن خالد بن محمد بن عبد القوي، بينما قام أولاد عزيز بتولية عدّي بن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوي ووافقهم عليه باقي قبائل بني توجين[4].

ودارت بين الطرفين حروب ونزاعات انتهت بانتصار لبني تيغرين وتغلب نصر بن عمر بن عثمان على رئاسة جبل الونشريس، أما مسعود بن عبد القوي فقد نقله السلطان أبو عنان المريني[5] إلى فاس[6].

ومع إحياء بني عبد الواد لدولتهم على يد أبي حمو موسى الثاني[7] عاد بنو بنو تيغرين بطاعتهم وولائهم للسلطان أبي حمو موسى[8]، إلا أن هذا الولاء لم يدم يدم طويلا إذ كانت سمة العداء مطبوعة على العلاقة التي كانت بين بني توجين بمختلف قبائلها وبين بني عبد الواد، فمع خروج الثائر أبي زيان[9] على السلطان

(1) حصن توكال: وهو حصن يقع ضمن سلسلة جبال الونشريس ويذكر أحمد بوزيان أنه يقع بولاية تسمسيلت ببلدية سيدي عابد، أنظر: أحمد بوزيان، تيارت في ظل الإسلام، ص28.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص228.
(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص331.
(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص332.
(5) أبو عنان فارس بن أبي الحسن: من سلاطين الدولة المرينية حكم فترة دامت (749-759هـ/1348-1358م) وفي عهده أعاد حصار مملكة تلمسان والاستيلاء عليها من سنة 752هـ-760هـ. أنظر ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13 (ص.ص 598-621).
(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص331.
(7) أبو حمو موسى الثاني: هو أحد سلاطين بني عبد الواد قام بإحياء دولتهم واسترجاعها من يد بني مرين حكم 760هـ-791هـ/1359-1389م). أنظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص.ص 254-303. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص2 وما يليها. التنسي، نظم الدر والعقيان، ص159-180.
(8) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص331.
(9) عن ثورة أبي زيان القبي، ينظر لاحقا في الفصل الثاني.

أبي حمو موسى حتى انضم إليهم نصر بن عمر، وهلك في هذه الفتنة[1]، ثم خلفه أخوه يوسف بن عمر.

*** إستقلال أولاد عزيز بالمدية:**

كما سبق الذكر أن أولاد عزيز قد أقطعهم محمد بن عبد القوي المدية وولى عليهم حسن بن يعقوب، وفي عهد أبي حمو موسى الأول استقل أولاد عزيز بالمدية وبقيت رئاستهم لابني الحسن وهما يوسف وعلي، وقد كان أولاد عزيز أشد عداءا لبني زيان لذا فإن الثائر محمد بن يوسف على السلطان الزياني أبي حمو موسى قد اختار المدية مقرا انتزى إليه وأرغم يوسف بن حسن بن عزيز على الخروج معه[2]، فقبل هذا الأخير تحت رغبة قومه الذين أنفوا من سياسة أبي أبي حمو موسى ومبالغته في أخذ الرهن منهم والجباية عليهم[3]، وبعد أن طرد السلطان أبو حمو موسى الثائر محمد بن يوسف، أعاد يوسف بن حسن بن عزيز عاملا على المدية لمنع الثائر من دخولها ثانية، إلا أنه ومع تولي أبي تاشفين الحكم على بن زيان الذي تمكن من القضاء على ثورة محمد بن يوسف عزل يوسف بن حسن وولى سعيد العربي من مواليه على المدية[4].

وإثر نكبة أبي الحسن المريني سنة 749هـ/1350م[5] أخذ الأمل لدى بعض أمراء زناتة في استرجاع ملكهم، وعلى رأسهم عُدَيْ بن يوسف بن زيان بن عبد القوي فاتخذ من المدية موطنا ومقرا له[6]، واحتضنه أولاد عزيز وبايعوا له، له، وجمعوا له البيعة من باقي البطون إلا بني تيغرين، فاستجدت الفتنة معهم، وانهزم أولاد عزيز وانضم عدي بن يوسف بن عبد القوي إلى جيش أبي الحسن

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص332.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص214.
(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص215. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص213. التنسي، المصدر نفسه، ص136.
(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص221.
(5) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص235.
(6) سليمان ابن الأعرج، المرجع السابق، ص149.

المريني[1]، وصارت المدية أحد عمالات دولة بني زيان وقائدها وادفل بن حماد[2].

*** إمارة بني يدللتن بقلعة بني سلامة:**

أما بالقلعة فقد كانت رئاسة بني يدللتن في فترة النفوذ المريني لسعد بن سلامة الذي كان قد هاجر إلى يوسف بن يعقوب المريني بعد دخول أخيه محمد في طاعة السلطان عثمان بن يغمراسن ثم رجع سعد في جملة السلطان يوسف بن يعقوب في غزوته التي حاصر فيها تلمسان سنة 698هـ، فراعى هذا الأخير له ولائه له، وولاه على بن يدللتن. وبعد أن رجع أمر المغرب الأوسط لبني عبد الواد[3]، أبقى أبو حمو موسى سعدا بولايته على بني يدللتن بالقلعة[4].

وبمجرد تولي أبي تاشفين الزياني قام بعزل سعد وعيّن محمدا بدل أخيه، بينما خرج سعد نحو المغرب الأقصى وجاء رفقة جيش أبي الحسن المريني[5] ضاربا الحصار على تلمسان سنة 737هـ وقد ظل محمد بن سلامة منحصرا مع أبي تاشفين إلى أن هلك معه[6]، ثم ولى السلطان أبو الحسن المريني سليمان بن سعد على رئاسة بني يدللتن[7].

وأثناء تولية سليمان بن سعد، عظمت فتنة العرب على زناتة أجمع خاصة بالمغرب الأوسط، وتمكنوا من الاستحواذ على البسائط، فكانت بسائط سرسو في طليعتها، فقد أقطع أبو حمو موسى الثاني قلعة بني سلامة لأولاد عريف من عرب سويد، وأضاف إليهم منداس، فصار بنو يدللتن يعطون الجباية لعرب سويد[8]،

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص332.
(2) بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص188.
(3) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص336.
(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص205.
(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص337.
(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص228-229.
(7) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص337.
(8) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص338.

بينما أولاد سلامة فقد أثبتهم أبو حمو موسى في ديوانه وأقطعهم القصبات[1] من نواحي تلمسان.

*** إمارة بني يرناتن بسعيدة[2] :**

تميز بنو يرناتن عن باقي بطون بني توجين من حيث العدد إضافة إلى الشجاعة والسمعة الحسنة التي عرف بها كبارهم من قواد وأصحاب حروب، وقد كانت مواطنهم في البداية جنوب الونشريس ما بين ماحنون ووزينة[3] أقطعهم إياها عبد القوي بن العباس، وولي عليهم مهيب بن نصر بن علي بن تميم بن يوسف بن بونوال، إلا أن محمد بن عبد القوي قد ولى عليهم عبّو بن حسن من أولاد العزيز[4].

وقد علت مكانة بني نصر لدى محمد بن عبد القوي بعد رابطة المصاهرة التي وطّدت العلاقة بينهم، فولى نصر بن مهيب على أمر بني يرناتن، ثم ابنه علي هذا الأخير الذي أنجب من الولد نصر وعنتر[5].

أما نصر فقد ورث عن والده الحكم على بني يرناتن، وطالت مدة ولايته إلى أن غلب بنو عبد الواد على عامة بلاد بني توجين، وقد اشتهر نصر بن علي المكانة التي اعتلاها لدى ملوك زناتة، وعرف بنوه[6] من بعده بشهرة أبيهم.

---

(1) القصبات: بالفتح، جمع قصبة، وقصبة القرية، والقصر وسطه، وقصبة الكورة مدينتها العظمى، مدينة جميلة وقديمة بها آثار رومانية على ستة مراحل شمال شرق تلمسان من منطقة أولاد ميمون. أنظر: الحموي، معجم البلدان، مج4، ص353. ابن فضل العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأنصار، يصدره فؤاد سزكين بالتعاون مع علاء الدين جوخوشا الكهارد نويباور، ألمانيا، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، السفر الرابع، ص78. De Slane. Op.cit, p522.

(2) سعيدة: وهي قلعة حصينة تقع على بعد 5-6 مراحل جنوب تلمسان، ولا يمكن ربطها بسعيدة الحالية التي تقع على بعد 20 مرحلة جنوب مستغانم، أنظر: De Slane. Op.cit, p497.

(3) وزينة : يذكر دي سلان أنها منطقة سهلية تقع بسرسو في الجهة الشرقية منه وحلت محلها قرية سانغ التي تقع في بعد 10 مراحل شرق شلف ويقال لها يزناسن، أنظر: De Slane. Op.cit, p525.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص339.

(5) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص339.

(6) يذكر ابن خلدون أبناء نصر بن علي الذين اشتهر صيتهم ومنهم: عمر بن نصر الذي قتله السلطان أبو الحسن المريني بحصن مرات، وكذا منديل الذي قتله بدور بنو تيغرين وعنان الذي هلك تحت الحصار المريني رفقة أبو تاشفين الزياني، ومسعود ومهيب وسعد وداود وموسى ويعقوب والعباس ويوسف. ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص340.

بينما عنتر بن علي بن نصر، فقد كان له اثنان من الولد، الأول أبو الفتوح الذي تولى ابنه عيسى بعده الرئاسة على بني يرناتن، والثاني فقد حملت به إحدى وصائفه، ووضعته بدار عثمان بن يغمراسن مدعية أنه من سيدها أبي الفتوح وسمي معروف، فتربى بدار بني زيان وعينه أبو حمو الأول وزيرا، ونظرا للخدمات الجليلة والمكانة المرموقة التي اعتلاها في البلاط الزياني سمي معروف الكبير وقد توسط لأخيه عيسى بن أبي الفتوح لدى السلطان أبي حمو موسى بالولاية على بني راشد، فأنزله أبو حمو موسى بسعيدة وعقد له على رئاستها[1].

كما عرف في البلاط الزياني أحد أبناء علي بن نصر بن مهيب الذي وضعته أحد وصائفهم في دار السلطان أبي تاشفين الزياني وسمي عطية بن موسى، وعلت مرتبته لدى السلطان أبي حمو موسى الثاني فعينه عاملا على عمالة شلف[2]. وبتغلب العرب على البسائط، استولوا على يعود وماحنون وألجؤوهم بجبل بالقرب من وزينة، يعطون المغرم للسلطان الزياني ويكسبون جانب العرب بالإتاوة والهدايا[3].

وبعد هذه الانقسامات التي عرفتها الإمارة وتفكيك وحدته لم تعد هذه الإمارة بذات الوزن الذي كانت تمارسه أثناء حكم عبد الوادي وابنه محمد من بعده، إذ نجحت الخطة التي انتهجها ملوك بني عبد الواد في التفريق بين بطون بني توجين وإبرازهم في الساحة على شكل عصبيات متفرقة.

وهكذا يمكن القول أن بني توجين، هذه القبيلة الزناتية التي كانت خلال القرون الستة الهجرية الأولى مغلوبة لزناتة الطبقة الأولى ومع بداية القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي استطاع أمراؤها من بني عبد القوي من اقتطاع الملك ومجاذبته مع إخوانهم من ملوك زناتة بني عبد الواد وبني مرين[4]، وتمكنوا

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص340.
(2) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص341.
(3) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص341.
(4) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص130.

وتمكنوا من تأسيس الإمارة ضمن أقاليم جغرافية لم تكن ثابتة ومحدودة بسبب ما كانت تتعرض له من الضربات الزيانية تارة والهيمنة المرينية تارة أخرى إضافة إلى الفتن والنزاعات التي ما فتئت أن ظهرت بين بني عبد القوي حتى دخلت فيها إمارتهم مرحلة الفتن والاضطرابات.هذا ولم تكن هذه الإمارة بمعزل عن الأحداث الجارية على أرض المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين إذ أدت دورا سياسيا وحتى عسكريا قد ساهمت في مجريات هذه الأحداث كما كان لها بعض الجوانب الحضارية وهذا ما سيتم عرضه في الفصل الثاني.



الفصل الثاني

الدور السياسي للإمارة و بعض جوانبها الحضارية

1- مظاهر الصراع التوجيني -الزياني

2- العلاقات الودية بين بني توجين وبني حفص

3- توتر علاقة بني توجين بالسلطة المرينية

4- الجوانب الحضارية للإمارة

1- مظاهر الصراع التوجيني-الزياني:

إن الظروف والأحداث التي آل إليها المغرب الإسلامي من تفكك أقسام الدولة الموحدية وبروز الكيانات السياسية القائمة على أرضه، دعت ببني توجين وبني عبد الواد[1] لتتضارب فيه المصالح لتنشأ على إثرها علاقة مباشرة وظاهرة في عمومها اتسمت بالعداء الشديد والفتن والحروب المتواصلة، وهذا راجع إلى المصلحة الذاتية لكل منهما[2].

- التآزر والتحالف عند الحاجة:

فرضت بعض الأحداث الجارية على أرض المغرب الإسلامي على كل الجانبين أن يضعوا أوزار الحرب ويلجؤا إلى التحالف والسلم بينهما، واضطر خلالها يغمراسن بن زيان إلى وقف حملاته العسكرية المتكررة على بلاد بني توجين وطلب المدد وجمع كلمة شعوب بني بادين ومغراوة[3] وكان ذلك في حروبة مع بني مرين في كل من واقعتي إيسلي الأولى 647هـ وواقعة كلدامان 657هـ.

1- واقعة ايسلي الأولى 647هـ :

لم تكن دولة بني مرين الناشئة لترضى بمجاورة قبيلة بني عبد الواد المنافس وذلك لتحققها بالمكانة التي يتبوأها بنو عبد الواد في ميدان السياسة والحرب بالمغرب الأوسط، فنشأت عن ذلك عداوة بينهما وأحقاد كان مبعثها

(1) بنو عبد الواد: وهم من ولد بادين بن محمد إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد ونسبهم يرتفع إلى واسين من زناتة، ومع بداية القرن 7 هـ ضعفت سيطرة السلطة المركزية الموحدية على أقاليمها، تمكن خلالها يغمراسن بن زيان الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة بني عبد الواد "من توطيد وتثبيت أركان ودعائم دولته الممتدة من البطحاء شرقا إلى نهر ملوية غربا، متخذا من تلمسان عاصمة له وذلك سنة 633هـ وقد توارث بنوه الحكم على هذه الدولة ونسبت إليهم الدولة الزيانية. أنظر: عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، مج 13، ص148. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص186 وما بعدها. – عبد الله التنسي، نظم الدر والعقيان، ص111 وما بعدها.

(2) عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص18.

(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص172.

المنافسة على رئاسة زناتة والتشوف إلى السلطان المطلق على المغرب الإسلامي[1].

بعد ما ساءت العلاقة بين يغمراسن والخليفة السعيد الموحدي، قام هذا الأخير بشن هجمات على تلمسان[2]، وبعد حرب حامية الوطيس بين الجانين، انتهت بانتصار خاطف ليغمراسن في ذي الحجة 645هـ/ أفريل 1248[3]، مما جعل يغمراسن يفكر في الاستيلاء على العرش الموحدي[4]، وبتولي الخليفة المرتضي الذي استجدت حروبه مع المرينيين، فما كان عليه إلا أن دعا يغمراسن إلى مساندته، فأجاب داعيه خاصة أن هذا الأخير هدفه كان مناهضة بني مرين والقضاء عليهم[5]، وقد استلزم منه هذا الأمر أن يوقفوا حروبهم مع بني توجين وكذا مغراوة وحثهم على حشد الجيوش بعساكرهم، وكان عبد القوي بن عطية ممن وفد معه بقومه، وكافة القبائل من زناتة[6]، وشن غارات مكثفة في أطراف المغرب الأقصى خاصة تازة[7]، وخرج أبو بكر بن عبد الحق المريني بدوره من فاس بحملة عسكرية سنة 647هـ/1249م للقاء يغمراسن وقتاله[8]، والتقى الفريقان بوادي إيسلي من أحواز وجدة، ودارت بينهما معارك كبيرة انتهت بهزيمة السلطان يغمراسن الذي رجع إلى تلمسان[9]، أما أبو يحيى بن عبد الحق فقد قصد فاس ونزل بقصرها.

(1) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص100.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 12، ص541. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص206.
(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص168.
(4) فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص23.
(5) خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دراسة تاريخية وحضارية (633-681هـ/1235-1682م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سيدي بلعباس، 1424-1425هـ/2004-2005م، ص107.
(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص172.
(7) خالد بلعربي، المرجع نفسه، ص 107.
(8) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص295. ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص76.
(9) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص173. ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص295.

2- واقعة كلدامان[1] 657 هـ:

ظلت العلاقات بين العاهل التلمساني والمريني يغلب عليها طابع الصراع بين الطرفين، فقد كان كل واحد منهما يسعى لأن يفرض قوته وسيطرته على الآخر[2]، وحاول يغمراسن بن زيان الاستيلاء على سجلماسة[3] ولم يتمكن من ذلك، إلا أنه وبعد وفاة أبي يحى بن عبد الحق المريني 656هـ/1259م[4] راوده الأمل ثانية في ضم المغرب الأقصى والقضاء على بني مرين[5] ووجد نفسه مضطرا إلى الاستعانة بشعوب زناتة وإلحاقها بعسكره وطلب منهم أن يتواضعوا أوزار الحرب وأطمعهم في الغنائم كما طلب مرادفة عسكر من قبيلة زغبة[6]، فلم فلم يجد محمد بن عبد القوي بدا من الرفض خاصة بعد أن ردد يغمراسن هجماته على حصون وقلاع بلاد بني توجين، انضم محمد بن عبد القوي وقومه في جيش وعسكر بني عبد الواد[7]، ونهضوا إلى المغرب وانتهوا إلى كلدامان ما بين تازى تازى وبلاد الريف سنة 657هـ[8] ولقيهم يعقوب بن عبد الحق في جيوشه، وألحق بهم الهزائم وفرّت شعوب زناتة إلى منازلها[9].

ومما دعا يغمراسن لمسالمة بني توجين هو تحقيق المشروع الكبير الذي طالما كان يراوده وهو الوصول إلى العرش الموحدي بمراكش[10]، كما احتاج إلى تدعيم جيشه بجنود بني بادين ومغراوة لمواجهة بني مرين، التي تعد القوة الثانية المنافسة لهم إذ كانوا كما يصفهم ابن خلدون "أكثر منهم عددا وأقواهم ملكا"[11].

(1) كلدامان، أو جلدامان التي يذكرها ابن أبي زرع، الذخيرة، ص89.
(2) خالد بلعربي، المرجع نفسه، ص106.
(3) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص206.
(4) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص296.
(5) خالد بلعربي، المرجع نفسه، ص207.
(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص173.
(7) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص325.
(8) الناصري، الاستقصا، مج2، ص376.
(9) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص365. ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص89.
(10) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص172.
(11) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص121.

أما بنو توجين ولجوئهم إلى محالفة بني زيان فقد كان أمرا محتوما، نظرا لما عانوه من ويلات الحروب المتكررة على بلادهم.

- المنافسة على رئاسة زناتة:

شكّل بنو توجين عامل أرق وتعب لسلاطين الدولة الزيانية كافة، فحياتهم كلها كانت حروب مع هذه القبائل الرافضة للسلطة، حبا في الاستقلال ورغبة في الانفراد وكرها لعوامل الوحدة والانتظام[1].

فبنو توجين وبنو عبد الواد من القبائل الزناتية التي نبض عرق الزعامة والملك والسلطان فيها مع مطلع القرن السابع الهجري خاصة بعد دخولهما في طاعة بني عبد المؤمن وخدماتهم المتفانية لهم، فتلقوا بذلك إقطاعات وامتيازات ضمن أقاليم المغرب الأوسط[2].

أما بنو عبد الواد فقد استقروا في المناطق الواقعة بين البطحاء شرقا ونهر ملوية غربا وصارت أراضيهم تتاخم مواطن بني توجين في الجنوب، تم تقدموا نحو سهول تلمسان واحتلوها، فاشتد التنافس على الحظوة والأراضي[3]، لاسيما عندما صار بنو عبد الواد ينعمون بحكم الولاية على إقليم تلمسان ووهران[4] وقد كان الموحدون بحاجة إلى من يحفظ لهم السلطة والأمن في مناطق بدأت تبدو بعيدة عن مركز السلطة في مراكش، واستعانوا بهم وهم زناتيون في أن يصدوا عنهم، تطاول القبائل الزناتية[5].فتحصلوا بذلك على أحسن ما في الغنيمة وهي السلطة وامتلاك الأراضي الخصبة[6]، فمن جهة يرى بنو توجين أحقيتهم في رئاسة المغرب الأوسط لأن ملكهم فيه كان أعرق، فكانوا ينظرون إلى بني عبد

(1) بوزيان الدراجي، نظم حكم دولة بني عبد الواد، ص205.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص129.
(3) فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص18.
(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مجلد 13، ص159-160.
(5) عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، بيروت، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م، ص275.
(6) فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص18.

الواد النازحين الجدد نظرة المنافس والخصم المزاحم، ومن جهة أخرى فإن بني عبد الواد قد صمدوا وقاوموا بشدة، وتعدوا إلى مرحلة الهجوم، فوسعوا رقعة ولايتهم، ونشروا نفوذهم عبر أقاليم المغرب الأوسط وفرضوا سيطرتهم على جميع من ناصب لهم العداء[1]، مستعينين ببعض الحلفاء من القبائل العربية وكذا بعض القبائل البربرية ومنهم بني راشد الذين دخلوا في الخلف معهم على قتال أمثالهم كبني مرين فحول المغرب الأقصى وبني توجين اللذين أخباره لاتحصى[2].

(1) فيلالي، المرجع نفسه، ج1، ص18.
(2) محمد بوركبة، جوانب من مخطوط قلعة بني راشد للشيخ أبي عمر بن عثمان القلعي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا وهران، الجزائر، 1424هـ/جوان 2003، العدد01، 109.

- مشاركة بني توجين في الاعتداءات الخارجية على تلمسان:

لم يتوان بنو توجين في استغلال الصراعات القائمة بين الكيانات السياسية الثلاثة والمستخلفة لملك الموحدين، إذ تحالفوا مع أعداء السلطة الزيانية للإطاحة بعرشهم في كثير من الأحيان وخاصة في الأوقات الحرجة التي يصاب فيها عرش السلطة الزيانية بتلمسان بعض الضعف والوهن، فكانت مشاركاتهم في الوقائع التالية :

*** بنو توجين وحملة أبي زكريا الحفصي على تلمسان 640هـ:**

استقل يغمراسن بن زيان بتلمسان ولبس إشارة السلطان وبعث في الأعمال، ولم يبق للموحدين إلا الدعاء على المنابر(1)، مع المحافظة على العلاقات الحسنة معهم وتمتينها، وكان الخليفة الرشيد الموحدي بدوره يكرمه بأنواع الهدايا والجرايات والألطاف(2)، وتم تبادل السفارات والهدايا بينهما(3)، فكانت هذه العلاقات الطيبة والصلات الحسنة بين يغمراسن والخليفة الرشيد الموحدي مقصد شك وريبة لدى سلاطين بني حفص بتونس، الذين اعتبروا هذا التقارب تهديدا لسلامتهم واستقرارهم(4).

ومن جهة ثانية كانت هجمات يغمراسن بن زيان على بلاد بني توجين كثيفة مما دعا بعبد القوي بن العباس أن يتحرك ويلجأ إلى السلطان أبي زكريا الحفصي(5) رفقة شيوخ قبائل المغرب الأوسط كالعباس بن منديل بن عبد الرحمن من مغراوة، وتحريضه على غزو عاصمة بني زيان وإسقاط دولتهم(6) وبذلك فقد وجد السلطان أبو زكريا الحفصي الفرصة السانحة لاكتساح تلمسان وتمهيد

(1) فيلالي، المرجع نفسه، ج1، ص21.
(2) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص205. التنسي، نظم الدر، ص116.
(3) خالد بلعربي، المرجع السابق، ص101.
(4) فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص21.
(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص608.
(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص165.

الطريق نحو مراكش[1]. وعبأ لهذه الحملة جيشا ضخما[2]، وخرج من عاصمته بتونس في شهر شوال 639هـ/1241م نحو تلمسان وقد ضم إلى جيشه خلال هذه المسيرة كل من عرب بني سليم ورياح، وقبل وصوله تلسمان أوعز إلى كل من عبد القوي بن العباس وأولاد منديل لحشد أحياء زناتة وتحفيزهم على الانضمام إلى جيوش بني حفص لاقتحام تلمسان، فكان ممن وافاه عرب زغبة وسويد، وارتحلوا معه حتى وصلوا إلى أسوارها في نهاية شهر محرم سنة 640هـ/1242م[3].

أما يغمراسن فقد أفلت من قبضة الحفصيين، وخرج من تلمسان مع أهله وعياله وبعض خيله ورجاله، ولجأ إلى الجبال المجاورة لتلمسان[4]، تاركا عاصمته في يد أبي زكريا الحفصي، ولم يجد هذا الأخير من يقلده على تلمسان سوى إعادة يغمراسن[5]. وتم عقد الصلح بينهما على جلاء الجيوش الحفصية عن تلمسان، مقابل قطع الصلة نهائيا ببني عبد المؤمن بمراكش، ويخطب باسمهم على المنابر نظير التأييد الحفصي[6].

---

(1) محمد العروسي، السلطنة الحفصية وتاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ط، 1406هـ/1986م، ص142.

(2) يذكر كل من ابن قنفذ والزركشي وابن دينار القيرواني أن تعداد الجيش الحفصي بلغ أربع وستين ألفا بينما أورد ابن عذارى أن تعداده بلغ عشرة آلاف، أنظر: ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص361. ابن قنفد، الفارسية، ص109. الزركشي، تاريخ الدولتين، ص29 . أبو عبد الله محمد أبي القاسم بنن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، تونس، المكتبة العتيقة، د.ط، 1961، ص118.

(3) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص205. الزركشي، المصدر نفسه، ص29.

(4) يحي ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص205.

(5) التنسي، نظم الدر، ص118.

(6) التنسي، المصدر نفسه، ص118.

*** بنو توجين ومشاركتهم في الحصار المريني على تلمسان :**

تجدد الصراع الزياني-المريني، وظهر على أشده خاصة عندما تمكن بنو مرين من محو أثر بني عبد المؤمن واعتلاء عرش الموحدين بمراكش، ثم تفرغوا بعدها لمحاربة بني عبد الواد[1]، وهمّ السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني للقضاء على يغمراسن في عقر داره بتلمسان، فكان لبني توجين المشاركة في حملتين لبني مرين على تلمسان وحصارهم الأول بواقعة إيسلي سنة 670هـ/1271م والثاني بعد موقعة خرزوزة سنة 680هـ/1281.

*** واقعة إيسلي[2] الثانية 670هـ/1271م :**

رأى السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني أن معركة تلاغ سنة 666هـ[3] لم تشف صدره[4]، فجهز جيشا ضخما سنة 670هـ/1271م وكان هذا الجيش يتكون من عناصر مختلفة فضم بني مرين وقبائل العرب، ومصمودة وبقايا عسكر الموحدين[5]، وخرج هذا الجيش من فاس ووصلته الأمداد في طريقه طريقه بملوية، ولما وصلت الجيوش بتافنا أتاه سفير السلطان ابن الأحمر يسأله نصرة الإسلام، عندئذ قرّر إرسال جماعة من أشياخ العرب وزناتة لطلب الصلح مع العاهل الزياني، لكن السلطان يغمراسن بن زيان رفض بكل شدة، ولما بلغ الخبر مسامع السلطان المريني أعلن التعبئة العامة في أنحاء البلاد وتم اللقاء بين

---

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص378.

(2) إيسلي: مدينة شرقي أرشجول بمقبرة من وهران وهي مدينة قديمة محصنة ولها نهر يسقي بساتينها وثمارها. الحميري، الروض المعطار، ص58.

(3) واقعة تلاغ 666 هـ: اندلعت هذه المعركة عندما أبدى يغمراسن بن زيان تحالفه مع أبي دبوس آخر سلاطين بني عبد المؤمن في حربه ضد يعقوب بن عبد الحق، إذ قام يغمراسن بشن هجمات على الثغور المرينية بالمغرب الأقصى لتخفيف ضغط الحصار المريني على مراكش، عندها قرر السلطان المريني قتال يغمراسن، والتقى الجيشان بوادي تلاغ قرب ملوية، ونشبت بينهما حرب انتهت بهزيمة يغمراسن ومقتل ابنه وولي عهده أبو حفص عمر. أنظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص304-305.

(4) أبو العباس أحمد السلاوي الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، اعتنى به محمد عثمان، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1428هـ//2007م، مج1، ص 379.

(5) ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص129.

الجيشين في وادي إيسلي وكانت الهزيمة مرة أخرى على السلطان يغمراسن، قتل ولده فارس ونجا يغمراسن إلى تلمسان، وسار السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني يحاصر تلمسان[1]، وأثناء هذا الحصار وفد عليه الأمير محمد بن عبد القوي ونترك ابن أبي زرع يصف لنا مشهد استقبال السلطان المريني لمحمد بن عبد القوي: "ووصل إليه محمد بن عبد القوي التجيني في جيش كثيف من قبائل تجين بالطبول والبنود والعدد السنية، فركب أمير المسلمين إلى لقائه في جميع جنوده وأبطاله في أحسن زينة وأتم احتفال، فاشتد الحصار على يغمراسن"[2]، وإن مثل هذا الوصف لدلالة على المكانة التي اعتلاها محمد بن عبد القوي وقومه لدى السلطان المريني، وقد وجد أمير بني توجين الفرصة التي طالما كان ينتظرها في أخذ الثأر مما لحقه من ويلات الحروب التي كان يرددها العاهل الزياني على بلاده فشفى غيظه بتحطيم المزارع والقرى المجاورة لتلمسان[3] "فقطعوا الثمار ونسفوا الآبار، وخربوا الربوع، وأفسدوا الزروع، ولم يدعوا بتلك الجهات قوت يوم حاشا السدرة والدوم"[4]. وبعد مقام استغرق ثلاثة أشهر لم يتمكن يعقوب بن عبد الحق من اقتحام تلمسان لحصانتها[5]، فقرر الانسحاب وأمر محمد بن عبد القوي بالرجوع إلى بلاده، وقعد بظاهر تلمسان حتى تأكد من وصول بني توجين إلى منازلهم خوفا عليهم من غائلة وغدر يغمراسن[6]. وقام محمد بن عبد القوي بتهديم مدينة البطحاء وتخريبها[7].

---

(1) أنظر : ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص129-130 (بتصرف).
(2) ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص132.
(3) خالد بلعربي، المرجع السابق، ص111.
(4) ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص132.
(5) خالدي بلعربي، المرجع نفسه، ص111.
(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص381.
(7) ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص135.

*** معركة خرزوزة 680هـ/1281م :**

استطاع السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني أن يحقق عدة انتصارات باهرة في الأندلس مواصلا بذلك سياسة أسلافه- المرابطين والموحدين- في حماية المسلمين من أطماع المسيحيين. هذه الانتصارات التي أقلقت ملوك بني الأحمر(1) الذين تخوفوا من امتداد النفوذ المريني في بلاد الأندلس، وفي سنة 677هـ/1278م اتصل السلطان ابن الأحمر بيغمراسن بن زيان من وراء البحر وأرسله على صرف يعقوب بن عبد الحق عن الإجازة إلى الأندلس وذلك بضرب الثغور التابعة لبني مرين على أطراف المغرب الأقصى(2) ولما علم السلطان يعقوب بن عبد الحق بهذا الخبر أسرع إلى طلب الصلح من يغمراسن بن زيان 679هـ/1280م فرفض يغمراسن صلحه(3)، وبعد مرور شهر من مناشدته الصلح مرة ثانية مشترطا عليه مسالمة بني توجين والتجافي عنهم(4)، وفي الرسالة الرسالة بيتين:

فلتترك الناس إلى جهادهـم   مؤملين في حمى بلاهم
واقعد ولا تنهض إلى تجيـن   فإنها في العهد مع مرين(5)

فتعنت يغمراسن في رفضه للصلح وأشهر قولته بعد أن سمع مضمون الرسالة "والله لا كففت عن تجين ولو رأيت النفس في سجين فليصنع ما بداله وليتأهب للحرب"(6) وعندها خرج يعقوب بن عبد الحق لقتاله في شهر ذي الحجة من السنة نفسها، والتقى الجمعان بخرزوزة من ملعب وادي تافنة، اشتدت المعركة

(1) دولة بني الأحمر: نسبة إلى مؤسسها أبي عبد الله محمد بن الأحمر الذي استطاع أن يحافظ على نطاق ما بقي من ملك الإسلام في الأندلس بعد أن استولى النصارى على العديد من المدن الأندلسية وظلت هذه الدولة في صراع مع النصارى المسيحيين في إسبانيا مدة قرنين ونصف من الزمن (635-897هـ/1237-1492م)، ج.س كولان، الأندلس، ترجمة: إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان بيروت، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، دار الكتاب المصري، الطبعة الأولى، 1980، ص138-1390.
(2) الناصري، الاستقصا، مج1، ص398.
(3) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص335.
(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص422.
(5) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص336.
(6) ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص336.

ومني يغمراسن بهزيمة نكراء، فرّ على إثرها إلى حضرته أين ضرب عليه السلطان يعقوب من عبد الحق المريني حصارا[1]، فوصله عندها الأمير محمد بن عبد القوي مع قومه ولقيه بناحية القصبات[2] وجدّد له بيعته "وأقام معه ببلاد يغمراسن يدمرون ويخربون ويفسدون فلما استأصل جميع بلاده وأكل زروعها ونهبها وخربها أمر بني توجين بالرجوع إلى بلادهم"[3].

(1) ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص337.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص423.
(3) ابن زرع، المصدر نفسه، ص337.

- التفاف بني توجين حول الثائرين الخارجين عن السلطة الزيانية :

استغل بعض الثائرين على السلطة الزيانية الخلاف والعداء القائم بين بني عبد الواد وبني توجين، فاتخذوا من منازل بني توجين ملجأ لهم ومن جنودهم عدة في جيوشهم، إذ كان بنو توجين ينتهزون الفرص ويلتفون حول هؤلاء الثائرين بهدف إضعاف كيان الدولة الزيانية من جهة وإبعاد خطرهم من جهة أخرى، فكان التفافهم حول ثورة محمد بن يوسف سنة 715هـ وثورة أبي زيان القبي سنة 761هـ.

*** بنو توجين وثورة محمد بن يوسف (715-719هـ/1315-1319م):**

رغم إتباع أبي حمو موسى الزياني الأول سياسته المذكورة وإجراءاته الصارمة مع القبائل المشاقة في سبيل تمهيد المغرب الأوسط فقد ظلت كثير من المناطق غير مستقرة[1]، إلا أنه سرعان ما كانت تنتفض عليه بعض منها فنبذت له الطاعة، وانضمت مع أول ثورة ظهرت في عهده. ومن بينهم التفاف بني توجين حول الثائر محمد بن يوسف ابن عم السلطان أبي حمو موسى الأول، هذا الأخير الذي كان قائدا على مليانة، وقد حصلت بينه وبين موسى بن علي الكردي القائد الثاني على الناحية الشرقية مناوشة، فدب بينهما الخلاف والمنافسة، فقام هذا الأخير وسابق محمد بن يوسف لدى السلطان أبي حمو موسى وأحقده عليه حتى عزله عن مليانة، فخشي محمد بن يوسف من غدر السلطان به من ذلك وفر من معسكره نحو المدية[2].

فاستقبله أولاد عزيز بالمدية والذين بدورهم أنفوا من سياسة أبي حمو من أخذه أبنائهم كرهائن وأجبروا كبيرهم يوسف بن حسن على بيعته ومشايعته، فأخذ

(1) Charles Emmanuel Dufourcq, L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siècles, France, Université de Bordeaux et casa de velazquez, 1966, p476.

(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص213 وما بعدها. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص213-214.

له البيعة وجمع له من انضم إليهم من العرب[1]، ثم تابعهم في ذلك بنو تيغرين أصحاب جبل الونشريس وعاملها آنذاك عمر بن عثمان، إضافة إلى سائر البطون من منكوش وبني يرناتن[2] وزحفوا مع محمد بن يوسف إلى السلطان أبي حمو والتقوا بموضع يعرف بنهل، فانهزم على إثرها أبو حمو ورجع إلى حاضرته بتلمسان، أين جيَّش الجيوش وأمر بقائده مسعود بن برهوم أن ينهض إليه من بجاية فيطوقونه. وخرج إليهم محمد بن يوسف من مليانة وبعد أن بايع بنو تيغرين محمد بن يوسف، انتقل هذا الأخير إلى جبال الونشريس، وانهزم أمام عسكر مسعود بن برهوم. ثن نهض السلطان إلى ناحية الشرق سنة 717هـ، وملك المدية وأولاد يوسف بن حسن عليها وقد بالغ في أخذ الرهن منهم[3]،، ونظرا لما بادر من محمد بن يوسف لأولاد عزيز بالمكانة وقربهم إليه كان مما أغيض به صدر عمر بن عثمان صاحب الونشريس، فمال عمر بن عثمان للسلطان أبي تاشفين ودلهم على مكامن الحصن الذي لجأ إليه محمد بن يوسف بربوة توكال، فاقتحموه وقتل محمد بن يوسف[4].

* بنو توجين وثورة أبي زيان القبي[5] (761هـ-777هـ):

رغم الانقسام الذي شهدته إمارة بني توجين، فقد ظلت بطون هذه القبيلة تمارس دورها في الأحداث السياسية خاصة بعد استخلاف بني تيغرين بالرئاسة بجبال الونشريس، فكانت لهم أدوارا سياسية متباينة المواقف مع بني زيان،

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص214
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص331.
(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص215. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص214.
(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص220.
(5) ثورة أبو زيان القبي: وهو أبو زيان محمد بن عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن وقد أخذ صغيرا إلى قصور بني مرين بفاس وحرضه السلطان أبو سالم المريني للخروج على السلطان أبي حمو موسى الثاني، أنظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص262 وما بعدها. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، في ذكر الملوك من بني عبد الواد، نشره ألفرد بل، الجزائر، مطبعة فونطانة الأخوين، وشركائهما الشرقية، د.ط، 1328هـ/1910م، ج2، ص64 وما بعدها.

وتأرجحت سياستهم إزاء ثورة أبي زيان القبي، فتارة مؤيدة له ومنضمة إلى ثورته وتارة أخرى مجددة وولائها لأبي حمو موسى الزياني الثاني.

تأزم الوضع بين أبي سالم المريني وأبي حمو موسى الثاني وقام على إثرها أبو سالم بتحريك أحلافه في المغرب الأوسط، فثار زيان بن أبي يحيى الراشدي في قومه بني راشد، داعيا للأمير العبد الوادي أبي زيان الملقب بالقبي[1]، وقد خلفه السلطان أبو سالم المريني بقصر أبيه بتلمسان بعد أن رحل عنها وأردفه بعسكر وجنود بني توجين ومغراوة، وإثر مواجهة أبي حمو الزياني له، أجفل الثائر أبو زيان عن تلمسان وركن إلى الناحية الشرقية[2].

ومع أول مواجهة بين هذا الثائر وأبي حمو موسى الزياني انهزم فيها أبو زيان ولاذ بالفرار والتحق بجبال الونشريس أين احتمى بأحلافه أولاد عريف من قبيــلة سويد والذين بدورهم جمعوا له بيعة بني توجين وبني راشد وكان ذلك في 4 رمضان 761هــ/1359م[3]. وبعد عدة مواجهات بين أبي حمو موسى وهذا الثائر وتصدي الجيوش الزيانية له أعلن نصر بن عمر أمير بني تيغرين الطاعة لأبي حمو موسى[4].

وكان من مقتضيات هذا الولاء للسلطان الزياني هو تقديم حصة من المقاتلين لتساهم في الحروب التي يخوضها جيشه[5]، والظاهر أن بني توجين كان كان لهم نصيب في صراع أبي حمو موسى وابن عمه أبي زيان أوائل سنة 768هــ/1369م[6]، فكانت الهزيمة على أتباع أبي حمو موسى[7] وقد فسّر

(1) القبي: تعني عظيم الرأس، أنظر: عبد الحميد حاجيات أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1394هــ/1974م، ص98.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص261.
(3) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد ، ج2، ص79.
(4) عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص332.
(5) عبد الحميد حاجيات، السلطان أبو حمو موسى الزياني، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، الجزائر، كلية الآداب، جويلية 1969، العدد 09، ص36.
(6) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص184.
(7) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص272.

صاحب البغية هذه الهزيمة بخيانة "أولاد عزيز بن عثمان من بني توجين الذين كانوا قد شايعوا أبا زيان"[1] فكانت مغادرتهم ساحة الوحى سببا في إضعاف جيش السلطان أبي حمو وإلحاق الهزيمة. وفي أثناء هذه الحوادث توفي نصر بن عمر، فخلفه أخوه يوسف[2].

وإن موقف نصر بن عمر اتجاه الأزمة السياسية التي نشأت بمنافسة أبي زيان لأبي حمو موسى في السلطة والملك أن هزت أركان العرش العبد الوادي وكادت تقضي على سلطة أبي حمو موسى الزياني.

قد واصل نصر بن عمر سياسة أسلافه (أمراء بني توجين) التي تهدف إلى مسالمة كل من ظهرت غلبته، وقوي جانبه وإعلان الطاعة والانحياش لكل من فرض سلطته على المغرب الأوسط فلما قوي أمر أبي زيان وكثر أتباعه، وعلا شأنه، رأى نصر بن عمر التوجيني أن نجم السلطان أبي حمو موسى الثاني على وشك الأفول وأن انتصار أبي زيان كان محققا، فلعله أراد أن يسبق بالانحياز إلى جانب أبي زيان لنيل رضاه، وليبقى في منصب رئاسة قومه بجبال الونشريس عندما يؤول العرش العبد الوادي أبي زيان[3].

ولكن اعتقاد نصر بن عمر كان مخطئا، فما إن حلت سنة 769هـ/1370م حتى انقلب الوضع السياسي، وعاد أبو زيان وأتباعه إلى معاقلهم، ورفرفت أعلام النصر على جيش أبي حمو[4].

وبعد أن أصلح أبو حمو موسى أحوال مدينته وقام بتحصينها وفي طريقه أذعن له أشياخ بعض قبائل الأعراب بالطاعة، ثم نزل بالبطحاء "وأخذ أشياخ توجين كافة وسيق الجميع في ركابه العلي"[5].

---

(1) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص194.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص333.
(3) عبد الحميد حاجيات، المرجع نفسه، ص36.
(4) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص196.
(5) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج2، ص200.

2- العلاقات الودية بين بني توجين والسلطة الحفصية:

اتسمت العلاقة بين بني توجين وبني حفص[1] أهل إفريقية على عمومها بالموالاة والتحالف والتآزر، فيما عدا ذلك الخلاف الذي نشأ في بداية أمرهم على عهد عبد القوي بن العباس أمير بني توجين[2]، وسرعان ما تلاشى هذا الخلاف وتبدد عندما استنجد عبد القوي بن العباس بالسلطان أبي زكريا الحفصي وحرّضه على غزو تلمسان وأعانه بالعدة والعتاد[3]، وقد كان مشروع أبي زكريا الحفصي هو التطلع إلى العرش الموحدي أمل يراوده ولكن كان عليه اجتياز عقبة بني عبد الواد بتلمسان لتمهيد الطريق[4]، وبالتالي يكون عبد القوي بن العباس المحرك الرئيسي لهذه الحملة والتي تم فيها غزو تلمسان سنة 640هـ[5] وأجبر فيها يغمراسن بن زيان على الخطبة باسمه[6] وعلى قطع الصلة نهائيا بين بني زيان وبني عبد المؤمن وعليه تمكن أبو زكريا الحفصي من توسيع نطاق ملكه ولو اسميا إلى المغرب الأوسط.

(1) بنو حفص: ينتسب بنو حفص إلى الشيخ أبو حفص يحيى بن عمر الهنتانتي، هو من خاصة المهدي ابن تومرت وأحد مريديه العشرة، وقد برهن أبو حفص هذا على كفاءته ومقدرته السياسية والإدارية في جميع الأعمال والولايات التي تولاها لدولة الموحدين بالمغرب الأقصى والأندلس، فاستحق عن جدارة الولاية على إفريقية خاصة بعد تمكنه من مواجهة ثورة بني غانية عينه الخليفة الناصر الموحدي واليا ونائبا عنه بتونس سنة 603هـ/1206م وخوّل له كل الصلاحيات المطلقة، وأمنت البلاد ورخيت أحوالها في ظل ولايته بها والتي دامت خمسة عشر عاما، ثبت فيها مركزه و استكثر من الجند والمال، وتوفي 618هـ/1221م، ثم ولى الخليفة المستنصر الحفصي بعده لأمير موحدي هو أبو العلاء بن يعقوب، فخرجت إفريقية من أيدي بني حفص 4 سنوات، ثم عادت إلى ابن الشيخ أبي محمد عبد الله سنة 623هـ/1225م، ثم انتزعها أخاه منه أبو زكريا بعدما أرسل إليه الخليفة المأمون بالولاية على تونس، فدخلها في 24 رجب 625هـ/1228م وخلع الطاعة للموحدين بعدها، وأبقى الخطبة باسم المهدي، واتخذ تونس عاصمة له، بايع لنفسه البيعة الثانية مع بداية سنة 626هـ/1229م.

أنظر: ابن قنفد القسطنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص 105-108. ابن خلدون، العبر، مج 12، ص577. الزركشي، المصدر السابق، ص18.

(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 12، ص597.

(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 12، ص608.

(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 12، ص607.

(5) ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص109.

(6) العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج2، ص196.

إلا أن السلطان الحفصي لم يتأكد من صحة ولاء يغمراسن له، قسّم المغرب إلى إمارات ودويلات من بينها إمارة بني توجين تحت إمرة عبد القوي بن العباس فكانت إمارتهم بمثابة درعا أو جدارا واقيا من أي محاولة زيانية للزحف نحو الشرق وكذلك حتى يأمن شر التكتل ضده ويواصل حركته ويحبط مساعي الآخرين ويطمس أماني باقي الخلفاء المستضعفين من الاعتضاد بيغمراسن(1). وازدادت أواصر هذه العلاقة عند تعرض أرض الإسلام بتونس للحملة الصليبية سنة 668هـ/1270م.

(1) محمد الهادي العامري، تاريخ المغرب في سبعة قرون بين الازدهار الذبول، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، د.ط1974، ص15.

- محمد بن عبد القوي ودوره في الحملة الصليبية على تونس668 هـ/1270م:

إن أهم إنجاز يذكره التاريخ لمحمد بن عبد القوي هو نجدة إخواننا بتونس الخضراء، ولسنا بصدد الحديث عن أسباب هذه الحملة[1]، إنما هو دور بني توجين في هذا العمل البطولي وتلبية نداء الجهاد.

سارت الحملة بقيادة لويس التاسع الذي غادرت أساطيله ايغمورت في ذي القعدة سنة 668هـ/4 جويلية 1270م ونزلت بأنقاض مدينة قرطاجة من الساحل التونسي وكان عدد الصليبيين زهاء ستة آلاف فارس وثلاثين ألف من الرجّالة، وبلغت أساطيلهم ثلاثمائة قطعة ما بين كبار وصغار[2]، فاستغاث حينئذ السلطان الحفصي بجميع الناس للاستعداد، وأرسل لجميع ملوك زناتة للجهاد وقتال أعداء المسلمين[3]، الذين جاءوا غازين لهم في عقر دارهم منتقمين لما أصابهم من هزائم في المشرق العربي ليأخذوا ثأرهم من أهل مغربة تحت حجج وذرائع واهية، فكان ممن وفد عليه محمد بن عبد القوي أمير بني توجين، بعد أن جدد طاعته له سنة 664هـ بالمسيلة[4]، وكان محمد بن عبد القوي رئيسا على العسكر

(1) الحملة الصليبية على تونس 668هـ/1270م: وهي الحملة الصليبية الثامنة ولها أسباب مباشرة وغير مباشرة، أما الأسباب المباشرة: - انهزام النصارى في حملتهم السابعة على مصر 648هـ/1250م

- الشهرة البعيدة المدى التي اشتهر بها السلطان المستنصر الحفصي خاصة بعد أن تلقب بالخليفة إذ دخلت في طاعته بني مرين وبني زيان ووفد عليه سلطان مصر المملوكي سنة 1260م وشرفاء مكة 1256م.

- الحقد الدفين الذي كان في صدر لويسع التاسع ملك فرنسا بعد وقوعه في الأسر

الأسباب الغير المباشرة: عدم دفع المستنصر الحفصي المبلغ السنوي الذي كان يدفعه لملك صقلية تجنبا لقرصنتها وإن هذه الحملة أشبه بالحملة الفرنسية على الجزائر 1830. أنظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 12، ص663. محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ط1982، ص145. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص61.

(2) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع نفسه، ج2، ص62.

(3) ابن قنفذ، الفارسية، ص131. برنشفك، المرجع السابق، ج1، ص90.

(4) عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 12، ص660. نج13، ص323. مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، ص406.

الضخم الذي توجد من الغرب الأوسط نحو تونس[1].

فقام محمد بن عبد القوي وصيّر جيشا بقيادة ابنه زيان بعدما جنّد أبناء قومه واستحثهم في الدفاع عن بلاد المسلمين، فأفادوا واجبهم الجهادي على أحسن ما يرام[2]، إذ أبوا في القتال أحسن البلاء رفقة بقية جنود المسلمين، واشتدت المعركة بين الطرفين المتحاربين في العاشر محرم من عام 669هـ/29 أوت 1270م، وقتل عدد كبير من الجانبين وألحقت الهزيمة بالصليبيين، ولقي ملك فرنسا لويس التاسع مصرعه في محرم 669هـ/25 أوت 1270م[3].

وكتتويج للدور الفعال الذي قام به محمد بن عبد القوي رفقة ابنه زيان وجيشه من بني توجين من بطولات نادرة في دحر الهجمة الصليبية على تونس، فقد عيّن السلطان المستنصر الحفصي الأمير محمد بن عبد القوي على رئاسة وفد المسلمين[4] لعقد بنود معاهدة استسلام جيش الصليبيين رفقة قادة آخرين[5]، هم: أبو الحسن علي بن عمر وأحمد بن الغماز والقاضي ابن زيتون[6]، وذلك في ربيع ربيع الأول 669هـ أكتوبر 1270، فصالحهم السلطان على الانصراف إلى بلادهم.

وأول اسم ذكر في الاتفاقية المعقودة بين المسلمين والغزاة الصليبيين هو ملك بني توجين وهذا نصها "هذا ما اتفقوا عليه وعقدوه على يد الشيخ الأجل

(1) المزاري (الآغا بن عودة)، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي،الطبعة الأولى، 1990م، ج2، ص50.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مجلد 12، ص669، مج 13، ص323.
(3) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص72.
(4) برنشفك، المرجع نفسه، ج1، ص93. محمد العمروسي، السلطنة الحفصية، ص210. يورد ابن خلدون أن زيان بن محمد هو قائد هذا الوفد، إلا أننا نأخذ برواية برنشفك ومحمد العروسي لأنهما ينقلان الرواية عن نص المعاهدة المترجمة إلى الفرنسية، وهذا النص هو شاهد عيان ومتقدم عن رواية ابن خلدون، أنظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 12، ص671.
(5) أحمد بوزيان، تيارت في ظل الإسلام، ص30.
(6) ابن الشمّاع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، ص72.

الأكرم أبو زيان محمد بن عبد القوي"[1].

وبعد انتهاء المعركة رجع محمد بن عبد القوي من تونس مكللا بالنصر رفقة جيشه إلى وطنه، بعد أن أنهوا أشرف مهمة في تاريخ إمارتهم والتي يذكرها لهم التاريخ بكل فخر واعتزاز وأثنى عليه الملك الحفصي أبوعبد الله محمد المستنصر وعلى قومه لما قدموه من خدمات جليلة في نصرة إخوانهم المسلمين، وأحسن إليهم وأجزل لهم العطاء وأضاف لإمارتهم بلاد مقرة وأوماش من بلاد الزاب[2]، فتوسعت بذلك إمارة بني توجين شرقا، وازدادت العلاقة بين إمارة بني توجين وتوقا وارتباطا بدولة الحفصيين في تونس، كما تعزز استقلال الإمارة من ناحية أخرى.

(1) محمد العمروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ص145-149.
وإن عقد الصلح المشار إليه محفوظ إلى الآن، بوزارة الخارجية الفرنسية، وهو بخط القاضي ابن زيتون بتاريخ 5 ربيع الآخر 669هـ. أنظر: أحمد بن أبي الضيّاف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق: لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار، تونس، الدار التونسية للنشر، د.ط1396هـ-1976م، ج2، ص206.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج13، ص325.

- بنو عبد القوي في محاضن البلاط الحفصي :

وقد نتج عن هذه العلاقات الودية والطيبة أن أصبح البلاط الحفصي ملجأ لبني عبد القوي، فشهد فرار صالح بن عبد القوي وبنوه بعد ما استأصلهم الأمير محمد بن عبد القوي من الرئاسة [1] أي تلقاهم السلطان الحفصي مبرة وتكريما وأقطعهم بعض الاقطاعات العقارية بمدينة الحامة من عمالات قسنطينة[2]. وقد كانت هذه الاقطاعات نظير الخدمات العسكرية التي كان يقدمها بنو صالح بن يوسف بن عبد القوي[3]، فقد كان الجند النظامي في الدولة الحفصية يتكون من المشاة والفرسان وإطاراته من الحفصيين وعناصره من البربر يجندون بواسطة قبائلهم مقابل أعضاءها من بعض الضرائب أو بعنوان مساهمة مجانية في المحافظة على أمن البلاد أو مقابل أجور معينة أو بعنوان ولائها للدولة[4]. وقد دخلوا في خدمتهم وصيّروهم في جندهم، فكان جيش الأمير أبي بكر الحفصي صاحب بجاية يضم عناصر منهم إضافة إلى عناصر أخرى من مغراوة ومليكش[5].

كما عرف البلاط الحفصي هجرات ثانية من أمراء بني عبد القوي إثر التنكيل والتهجير الذي لحق بهم من قبل السلاطين الزيانيين وذلك على عهد السلطان الحفصي أبي البقاء الأول الناصر (709-711هـ/1309-1311م). ففي حوالي سنة 710هـ/1310م طُرِد أحفاد عبد القوي من أراضيهم فلجأوا إلى تونس حث استقروا بها وأصبحوا من الجنود المخلصين لسلاطين بني حفص[6].

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص326.
(2) برنشفك، المرجع السابق، ج2، ص.ص 77-191.
(3) برنشفيك، المرجع نفسه، ج2، ص191.
(4) أحمد بن عامر، الدولة الحفصية، تونس، دار الكتب الشرقية، د.ط، 1972، ص39.
(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، مجلد 12، ص748.
(6) برنشفيك، المرجع نفسه، ج2، ص77.

3- توتر العلاقة بين بني توجين والسلطة المرينية[1]:

بعد تغلب بني مرين على بلاد المغرب الأقصى واشتداد وطئتهم على بلاد المغرب الأوسط فقد اتسمت العلاقة بين بني مرين ملوك المغرب الأقصى وبني زيان ملوك المغرب الأوسط بالعداء المتواصل حيث أن كل واحد منهما يعتبر نفسه الوريث الشرعي والحقيقي للإرث الموحدين لذا كانت تحدوهما رغبة التسلط والزعامة على البلاد التي كانت في حوزة الموحدين من قبل[2].

ومن هذا فقد كانت علاقة بني توجين ببني مرين خاضعة لهذا الصراع القائم بين هاتين الدولتين وما اتسمت به العلاقة بينهما من حروب وحصار وما تخللها من معاهدات صلح...إلخ.

ويبدو أن مشاركة بني توجين ليغمراسن بن زيان في حروبه ضد بني مرين خلال واقعتي إسلي وكلدامان، مشاركة تدفعها أسباب لعل أهمها :

- رابطة الدم التي تربط بني توجين مع إخوانهم بني عبد الواد فهم من شعوب بني بادين، فكثيرا ما كانت بينهم -بني بادين- وبين بني مرين فتن متصلة باتصال أيامهم في مواطنهم الجنوبية[3] -جنوب المغرب الأوسط

---

(1) بنو مرين: هم فخذ من أفخاذ زناتة وهم ولد مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج من قبائل واسين الزناتية، وقد غلب طابع البداوة والترحال على حياتهم قبل دخولهم المغرب الأقصى، فكانوا ينزلون إقليم الزاب، وفي أواخر القرن الخامس الهجري دفعهم العرب الهلاليون أمامهم إلى الغرب، فنزلوا صحراء المغرب الأقصى مع حدود سنة 610 هـ.

وكان أول قيام لدولة بني مرين سنة 613هـ/1216م على عهد أميرهم عبد الحق بن محيو الذي احتل مكناسة وتازا، ثم تدعمت أركان الدولة في عهد الأمير أبو سعيد عثمان (614-634 هـ/1217-1239م) ثم عهد أخيه أبو معروف محمد بن عبد الحق، ثم عهد أبي بكر بن عبد الحق، وأخيرا جاء الأمير أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق (656-685هـ) وقد قضى على آخر الخلفاء الموحدين أبي دبوس، واستولى على عاصمتهم مراكش سنة 668هـ/1269م.

أنظر: - ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص342 وما بعدها. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص278 وما بعدها.

- إسماعيل ابن الأحمر، روضة النسرين، ص17 وما بعدها. - أحمد الناصري، الاستقصا، ج1، ص363 وما بعدها.

- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص171.

(2) بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد، ص27.

(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص129.

والأقصى أي من مصاب وجبل راشد إلى ملوية وفيكيك ثم إلى سجلماسة- وذلك قبل أخذهم بحظ من الملك والسلطة.

- شدة وطئة يغمراسن بن زيان على بني توجين وتوغله في بلادهم والتنكيل بهم، قد دفع بنو توجين لأن يلجأوا لمسالمتهم وذلك لتخفيف الضغط عليهم.

- أنه لم يكن لبني مرين بعد من تسلط واقتعاد كرسي العرش الموحدي إلا بعد سنة 668هـ، وبالتالي فإن سياسة بني توجين كانت تهدف إلى مسالمة كل من ظهرت غلبته وقوي أمره، وإعلان الطاعة والانحياز لكل من فرض سلطته على هذا الإقليم مقابل الحفاظ على ولايتهم بجبل وانشريس.

إلا أن السبب الأخير ربما كان أقوى لأنه سرعان ما تغيرت وجهة نظر بني توجين من سياسة موالاتها لبني زيان وتوجيه الطاعة لبني مرين بعد تملك هذه الأخيرة لعرش الموحدين ودخولها مراكش 668هـ.

وهذا واضح وجلي، فبعد أول مواجهة بين بني زيان وبني مرين في كل من واقعة إسلي الثانية وموقعة خرزوزة حتى وصل محمد بن عبد القوي يده بهم في الاستظهار بهم على يغمراسن بن زيان.

- أثر النفوذ المريني للمغرب الأوسط على تذبذب العلاقة مع بني توجين:

بمجرد اعتلاء يوسف بن يعقوب عرش فاس 685هـ/1286م[1] أخذ في الطموح لتأسيس دولة قوية تحل محل الموحدين في بلاد المغرب وإفريقية[2]، فكان يردد حملاته على تلمسان بمحاولة اقتحام أسوارها، فقام بخمس حروب طاحنة مع بني زيان في عهد عثمان بن يغمراسن، وقد باءت بالفشل عدا تلك التي كانت سنة 698هـ/1299م والتي وقعت فيها تلمسان تحت الحصار دام أكثر من ثمان سنوات[3]. وهو أطول حصار قام به المرينيون لعاصمة بني عبد الواد تلمسان، وكان السلطان يوسف بن يعقوب يهدف من وراء هذا الحصار وضع حد لأعمال بني عبد الواد العدوانية ضد بني مرين، إذ أصبحت دولتهم ملاذا للثائرين عليه[4].

وبمجرد قدوم يوسف بن ثابت بن منديل أمير مغراوة على السلطان المريني يوسف بن يعقوب مستنجدا به من عثمان بن يغمراسن، فبعث إليه السلطان رجلا من كبار قومه ليتشفع لثابت بن منديل[5]، فرده عثمان أقبح رد أساس إجابته، وكانت هذه الحادثة هي السبب المباشر في حصار تلمسان[6].

ولم تكن بلاد بني توجين بمعزل عن تطور الأحداث التي كانت تطرأ على حاضرة تلمسان، فإثر محاصرة يوسف بن يعقوب المريني لتلمسان، أخذ هذا الأخير في بسط نفوذه على المغرب الأوسط، فصمد إلى جبل الونشريس وهدم حصونه وشرّد أهله وفر بنو عبد القوي إلى الصحراء فاستحكم بنو تيغرين بجبال

(1) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص374.

(2) فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص27.

(3) اتفق كل من الأخوين، عبد الرحمن ويحيى ابن خلدون "أن مدة الحصار كانت ثمان سنوات وثلاثة أشهر بينما نجد العمري يذكره بعشر سنين، أنظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص197. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص211. العمري، مسالك الأبصار، ص89.

(4) محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، الكويت، د.ط، 1985م، ص90.

(5) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص138.

(6) محمد عيسى الحريري، المرجع نفسه، ص90.

الونشريس وأصبح بنو مرين يتحكمون في التولية والعزل على إمارة بني توجين مع امتداد نفوذ بني تيغرين في الحكم وجعل الوزارة فيهم.

عندها انقلب موقف بني توجين وتغيرت علاقتهم مع بني مرين خاصة عندما رفع الحصار عن تلمسان وقام السلطان أبو ثابت المريني بتسليم المناطق الشرقية التي كانت خاضعة لهم إلى السلطة الزيانية إثر معاهدة الصلح بين كل من السلطان أبي ثابن وصاحبي تلمسان أبي زيان وأبي زيان وأبي حمو ابنا يغمراسن[1]. فكانت لمثل هذه الأحداث أن تؤثر في رد فعل أمراء بني توجين وتجعل العلاقة بين هذه الأخيرة وبين بني مرين غير ثابتة طول الخط.

---

(1) ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص390. أبو راس الناصري، عجائب الأسفار، ص421.

- موقف بني توجين من مشروع التوحيد لأبي الحسن المريني[1]

735-749هـ/1334-1348م

ساعدت العلاقات القوية التي توطد أمرها بين الدولة المرينية في المغرب الأقصى ودولة بني حفص في إفريقية، السلطان أبي الحسن على إتمام مشروعاته التوسعية التي كان يأمل في تحقيقها في المغرب الأوسط، إذ أعطت المصاهرة التي تمت بين الحفصيين وبني مرين الحق في الانتقام والمدافعة عن أصهارهم الحفصيين في إفرقية الذين كانوا يعانون كثيرا من مضايقات بني عبد الواد في المغرب الأوسط[2]. أحكم السلطان المريني أبو الحسن الحصار على تلمسان دام ثلاث سنوات إلى أن اقتحمها ودخلها بالقوة في السابع والعشرين من رمضان سنة 737هـ/1337م.

وأمام الهيمنة المرينية على دولة بني زيان في عهد أبي الحسن المريني حكم ما بين (731هـ-752هـ/1331-1358م) ، فقد تباينت مواقف بني توجين إزاء هذا الزحف الذي دام من (735-748هـ/1335-1348م).

أما بنو تيغرين، فقد كان وليهم آنذاك عمر بن عثمان الذي اختصه أبو تاشفين الزياني بالولاية على بني توجين نظير مساندتهم لهم في القضاء على ثورة محمد بن يوسف[3]، وقد ضم عمر بن عثمان جيوشه من بني توجين إلى الحاضرة التلمسانية لمواجهة الحصار المريني وظلت مرابطة مع بني زيان حتى سقطت تلمسان في يد مرين سنة 737هـ/1336م [4] فنال بنو توجين ما ناله بنو زيان

(1) أبو الحسن المريني: وهو أحد ملوك الدولة المرينية، وتميز حكمه بتحسن العلاقة مع بني حفص وتحالفا على حصار تلمسان، وكان له ذلك سنة 735هـ فتمهدت له بذلك السبل في تحقيق مشروع التوحيد لبلاد المغرب الإسلامي ومواصلة بسط النفوذ على بلاد إفريقية. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص235. اسماعيل ابن الأحمر، روضة النسرين، ص35.

(2) الزركشي، المصدر السابق، ص78.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق، مج13، ص220.

(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص535. ابن فضل العمر، المصدر السابق، ص90.

من القتل، فكان ممن لقي مصرعه في هذه الواقعة عمر بن عثمان كبير حشم بني توجين، ومحمد بن سلامة بن علي كبير بني يدللتن.

وسرعان ما أتاه بنو توجين بالطاعة[1] بمختلف بطونها، إذ عيّن السلطان أبو الحسن المريني نصر بن عمر على تيغرين وقد كان خلوصا في طاعته له إذ يصف ابن خلدون مدى هذا الإخلاص "وكان خير والٍ، ممسكا بالطاعة وخلوصًا في الولاية، وصدقا في الانحياش وإحسانا للملكة وتوفيرا للجباية"[2] فكان ذلك مما ساعده على مواصلة الطريق لتمهيد بلاد المغرب الأوسط تحت الهيمنة المرينية وقد انضم أولاد عزيز بدورهم إلى ولاء أبي الحسن المريني بل وأردفت جيوشهم ضمن عسكر بني مرين ولحقوا بأبي الحسن المريني بتلمسان وكاثروا جنده[3] وتبعهم في هذه الموالاة بنو سلامة بعدما عهد السلطان المريني لسعد بن سلامة على رئاسة بني يدللتن[4].

وبعد تمكن الجيوش المرينية من اختراق أسوار تلسمان ودخول المدينة في 27 رمضان 737هـ/1336م[5] اختفى رسم الدولة الزيانية وحل محلهم بنو مرين في إدارة المغرب الأوسط، فتحقق للسلطان أبي الحسن المريني بذلك حلمه الذي ظل يراود أسلافه من قبله خاصة بعد أن جهّزت له الإمكانيات الضخمة المادية منها والبشرية من بني عبد الواد وبني توجين ومغراوة[6] للتوجه إلى مدينة تونس تونس واستيطانها[7].

---

(1) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص219.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص331.
(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص534.
(4) ابن خلدون، بغية الرواد، مج 13، ص337.
(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص229. يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص219.
(6) فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص47.
(7) أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهري، المملكة المغربية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1 (1429هـ/2008م)، ص188.

وبعد عشر سنوات استكمل السلطان المريني أبو الحسن ما تبقى من مشروعه وهو الاستيلاء على إفريقية في شهر صفر 748هـ/1347م[1] وغادر تلمسان وترك ابنه أبا عنان نائبا له، وتوجه نحو إفريقية فاكتسح أمامه بلاد الزاب وبجاية وقسنطينة ثم عاصمة بني حفص حيث وصلها في شهر جمادى الآخر 748هـ/1347م، وقد فتح سكانها أبواب المدينة واستسلموا بدون مقاومة[2].

ولم ينعم أبو الحسن المريني بهذه الفرحة طويلا من توحيد المغرب الإسلامي إذ سرعان ما انقلب عليه الأعراب ورفضوا إجراءاته الجديدة معهم، وثاروا ضد بني مرين وهيمنتهم[3] وكانت المعركة الحاسمة بينهم وبين أبي الحسن الحسن بالقيروان في 7 محرم 749هـ/1348م[4] لصالح القبائل العربية.

وبقدر ما كان لبني توجين دور في تحقيق هذا المشروع بالنسبة للسلطة المرينية إلا أننا نجدهم يتحالفون مع بني عبد الواد في معركة القيروان وثم انخذلوا عن جيوشه وألحقوا الهزيمة الثقيلة عليه أمام العرب[5].

وظل بنو توجين متذبذبين في مواقفهم مع الحملات والهيمنات المرينية التي كانت تكتسح المغرب الأوسط إذ كانت سياستهم واضحة وهي الخضوع والتحالف مع الجانب الأقوى الذي كان يتمكن من بسط النفوذ، إذ نجدهم يساندون أبا الحسن المريني إثر نكبته من القيروان ونزوله أراضي المغرب الأوسط وانضموا إلى عسكره كل من نصر بن عمر من بني تيغرين وكذا عدي بن يوسف من أولاد عزيز[6] وفي معركة جمعت بين أبي الحسن المريني والسلطان أبي ثابت الزياني

(1) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج 1، ص235.
(2) ابن خلدون، المصدر نفسه، مجلد 13، ص561.
(3) فيلالي، المرجع نفسه، ج1، ص47.
(4) ابن مرزوق التلمساني، المصدر نفسه، ص305. ابن قنفذ، الفارسية، ص170.
(5) عمرو الطمار، المرجع السابق، ص138.
(6) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص332.

بنواحي الشلف، مني على أثرها أبو الحسن المريني بهزيمة فكانت جبال الونشريس ملجأ لبناته[1].

وواصل بنو توجين سياستهم هذه مع حملات بني مرين في عهد أبي عنان فارس وأبي سالم، وكانوا يظهرون الولاء عندما يتمكن بنو مرين من السيطرة على أراضي المغرب الأوسط ويظاهروهم الخلاف عند ضعفهم وتلاشي سلطتهم عليه.

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص249.

4- الجوانب الحضارية للإمارة:

إن الإقليم الفسيح الذي جالت به قبائل بني توجين ما بين جبال الونشريس إلى الهضاب العليا وصولا إلى الصحراء المغرب الأوسط قد مكّنها من أن تؤدي دورا سياسيا تمثل في اقتطاع نصيب من الملك وتأسيس إمارة بها والتي مكنتها من ربط علاقات بالدول القائمة آنذاك إذ لم تكن بمنأى عن التطورات التي كانت تجري على مسرح الأحداث السياسية لبلاد المغرب الإسلامي، ومن جهة أخرى فقد ساعد الموقع الجغرافي لهذه الإمارة على أن تشهد نشاطا سكانيا شمل بعض من الحرف والمهن التي مارسها بنو توجين فوفرت لهم إمكانات اقتصادية.

- تأثير البيئة الجغرافية والتركيبة السكانية على النشاط الاقتصادي:

إن دراسة الحياة الاقتصادية لمجتمع ما تتطلب الإحاطة بالبيئة الطبيعية لذلك المجتمع ونوعية العناصر البشرية التي يتكون منه[1].

أما البيئة الطبيعية فهي طبيعة الأراضي (التضاريس) والمناخ السائد إضافة إلى وفرة المياه، إذ نجد أن أقصى اتساع بلغته إمارة بني توجين ما بين لمدية شرقا إلى السيك والبطحاء غربا[2] ومن جبال الونشريس شمالا إلى مصاب وبلاد الزاب جنوبا[3] وبالتالي فقد تنوعت التضاريس بها ما بين جبال وهضاب وصحراء ضمن المغرب الأوسط، فجباله تمثلت في جبال الونشريس التي امتدت من حدودها الشرقية إلى أقصى حدها الغربي، فكان لهذه القمم الجبلية دورا سياسيا واقتصاديا في آن واحد[4].

(1) عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، بيروت، دار المغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1424هـ/2003م، ص 21.
(2) ابن خلدون المصدر السابق مج13 ، ص179.
(3) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص321.
(4) شارل ايمانويل ديفول، مكانة الونشريس والجهات المجاورة له في تاريخ المغرب الأوسط عبر الألفية الأولى من التاريخ الهجري، الفكر الإسلامي، ص95.

أما الهضاب والتلول فقد تميزت بشدة ارتفاعها واتساعها إذ نجدها تنحصر بين سلسلتي الأطلس التلي والصحراوي[1]، وهي تعرف بهضبة الشطوط وإن انخفاض أطلس التل على مستوى جبال الونشريس وارتفاع هضبة الشطوط عاملان أساسيان في توفير مناخ استبسي رعوي[2].

ومناخها قاري، شديد البرودة، كثير الثلوج في الشتاء إذ يصف البكري مدينة تاهرت "عن أحد أهل تاهرت الذي نظر إلى توقد الشمس بالحجاز فقال احرقي ما شئت فوالله إنك بتاهرت لذليلة"[3].

أما عن المياه التي توفرت لبلاد بني توجين فقد كان مصدرها روافد وادي شلف الذي يزيد صيفا بفضل ثلوج جبال الونشريس[4] إذ كانت مواطنهم الأولى حفافي وادي شلف والمسمى نهر واصل[5]، ثم توسعت بلادهم إلى أن أحاط بها مجرى وادي الطويل ووادي مينا الذي يفصل جبال الونشريس عن جبال سعيدة غربا[6]، فالأنهار تزيد من خصوبة التربة بما تحمله من المواد الحديدية[7].

في حين أن التركيبة البشرية لبني توجين فإنهم ينتسبون إلى القبائل الزناتية والتي تعتبر من البرابرة المستعربة[8] المتأثرة بصفات الأعراب ولغتهم وطريقة عيشهم وذلك بالمجاورة[9] والاحتكاك بهم.

وإن الخاصية الرئيسة التي ميزت الزناتيين تجلت في اعتمادهم على حياة التنقل والترحال[10]، وهي من صفة أهل البدو إلا أننا نجد ابن خلدون يتناول هذا

(1) عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص51.
(2) عز الدين عمر موسى، المرجع نفسه، ص53.
(3) أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص27. مؤلف مجهول، الاستبصار، ص178.
(4) الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ص251.
(5) ابن خلدون، العبر، مج 13، ص319.
(6) يحيى بوعزيز، المقاومة في جبال وانشريس وحوض شلف، مجلة الأصالة، ص2، 3.
(7) عز الدين عمر موسى، المرجع نفسه، ص57.
(8) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص3.
(9) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص179.
(10) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص179. ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص3.

الجانب من الحياة بنوع من التفصيل والدقة فيصنفها إلى ثلاث مجموعات بشرية بدوية[1]، ومن خلال تتبعنا لمواطن بني توجين الأولى ثم تغلبها على الأمصار المجاورة يتضح أن بني توجين قد شملوا المجموعات البدوية الثلاث فمنهم من كانوا يستقرون بالجبال كبني منكوش وبني تيغرين، ومنهم من سكنوا التلال والهضاب كبني يدللتن وبني يرناتن وهي تمثل أغلبية سكانها، أما المجموعة الثالثة فهي الأقلية من المجتمع التوجيني خاصة بعد اجتيازها إلى مرحلة السلطة والحكم، وكان إبعادهم في النجعة اضطراريا بحثا عن العشب لإبلهم من بلاد الزاب.

وكل هذه المميزات الطبيعية ساعدت أهالي بني توجين الاهتمام بالفلاحة وتربية المواشي كما اشتهروا بصناعة النسيج والحنابل.

- زراعة الحبوب:

كانت زراعة الحبوب تحتل الدرجة الأولى لدى أي دولة، وعليها تدور أو تعتمد الحياة الاقتصادية لا من الناحية المعاشية فحسب، بل لأنها مورد للدولة لا يستهان به.

وإن الهضاب العليا والسفلى في الشمال الإفريقي أحسن ما هيأته الطبيعة لزراعة الحبوب وهي أرض ترسبية تصلح لمثل هذه الزراعة[2].

فإن جل أراضيها ما بين سهول وهضاب كسهول متيجة وهضاب السرسو ومنداس والمتميزة بخصوبة تربتها مما أدى إلى وفرة الإنتاج من زراعة القمح

---

(1) أما المجموعة الأولى فهم البدو المستقرون في السهول والتلال والهضاب، وهم مرشحون للتمدن، والمجموعة الثانية بدوا أنصاف رحّل ويعيشون من تربية المواشي ويمارسون الزراعة كنشاط مكمل لحرفة الرعي، في حين أن المجموعة الثالثة فهم بدوا رحّلا وهم سكّان الصّحاري والقفار ويبعدون في الترحل بحثا عن العشب لإبلهم، أنظر: محمد عابد الجابري، العصبية والدولة عند ابن خلدون، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الخامسة، 1992، ص286. عبد الكريم شباب، صورة المجتمع في المغرب الأوسط خلال القرنين 7-8 هجري، 13-14 ميلادي من خلال كتاب العبر لعبد الرحمن ابن خلدون، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، السنة الجامعية، 1423-1424هـ/2003-2004م، ص 25-26. عبد المجيد مزيان، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، د.ط،2001، ص269-270.

(2) سعيد محمد رعد، العمران في مقدمة ابن خلدون، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1985، ص 369.

والشعير والحنطة[1] ويصف مرمول هذه المناطق "وعلى هذه المرتفعات ينتج كمية من الشعير يتغذى بها هذه القبائل[2]، إضافة إلى زراعة الكتان في مقرة[3]، كما شهدت بلادهم على العهد الموحدي بوفرة البساتين[4] فقد كانت جبال الوانشريس مناطق خصبة لمزارع الأرز والزيتون والصنوبر[5] خاصة هذا الأخير الذي يكثر بالوانشريس[6] والسفرجل الذي اشتهرت به تاهرت وهو كما يصفه البكري "وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما ومشمسا"[7].

هذا وقد كان بنو زيان يقومون بنقل ما تنتجه مثل هذه المزارع من بلاد توجين إلى مازونة التي اتخذوها مخزن المؤونة[8]. إلا أن هذا الإنتاج من الحبوب الحبوب يبدو أنه كان يسد حاجات سكان البلاد فقط، فقد ذكر مرمول "فلا يحصل قمح كثير"[9].

- تربية المواشي والخيول :

وعرفت الهضاب في المغرب الأوسط برعي الماشية[10]، وعندما دخل الهلاليون وانتشروا بين المغربين، فأصبحت تربية الأنعام من الأعمال التي تتعلق بالأرض والعناية بها، فضلا عما كان في السابق، فأصبحت الزراعة والرعي من أهم القطاعات المغربية في التنمية الاقتصادية[11]. وقد أشاد صاحب الاستبصار عند تعريفه لبلاد المغرب الأوسط أنها كثيرة الخصب والزرع كثيرة الغنم

(1) عز الدين عمر موسى، المرجع نفسه، ص195.
(2) مرمول كربخال، إفريقيا، ج2، ص28.
(3) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص119.
(4) عمر موسى، المرجع نفسه، ص194.
(5) توفيق المدني، كتاب الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الثانية، 1984، ص163.
(6) توفيق المدني، المرجع نفسه، ص164.
(7) البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، ص67.
(8) ابن خلدون، العبر، مج 13، ص327.
(9) مرمول كربخال، إفريقيا، ج2، ص28.
(10) عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، بيروت، دار النهضة العربية، د.ط، 1981، ج2، ص130.
(11) سعد محمد رعد، العمران في مقدمة ابن خلدون، ص372.

والماشية طيبة المراعي، ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها وطيب لحومها[1]، وفي ذلك دلالة على أهمية الأنعام بهذه البلاد.

وقد عرف بنو توجين بثروة حيوانية معتبرة متنوعة كالاغنام والأبقار وتربية الخيول، فمناخ أراضيها مناخ رعوي وأراضيها ما بين سهول وهضاب وقد وصف صاحب المعجم تيهرت "وهو بلد زرع وضرع"[2] وابن حوقل يؤكد فيقول عن تيهرت وأحوازها "هي معادن الدواب والمواشي والغنم والبرادين الفراهية"[3].

وقد كان سكان المناطق الجبلية يقومون بتربية الأبقار والأغنام كبني تيغرين وبني سلامة التي تكثر بها البقر والغنم[4]، أما رعي الإبل فهو من عمل القبائل الناجعة التي ترتاد إقليم الزاب ومصاب[5]، وإن الاهتمام بتربية المواشي لذو أهمية بالغة، إذ أن بعض الحرف الممارسة تعتمد على غلات الحيوانات من خلالها ندرك أن الصوف والألبان واللحوم والجلود وصناعة الزرابي كانت ذات فائدة اقتصادية هائلة ساعدت إلى حد كبير في التخفيف من شظف العيش.

أما عن تربية الخيول فقد عرف حوض شلف ومنطقة تيهرت الأسبقية في تربيتهم فيذكر الإدريسي عن تيهرت فيقول "تشتهر بإنتاج البرادين والخيل في كل حسن"[6].

هذا وقد ظل بنو توجين محافظين على تربية الخيول وزاد اهتمامهم بها بعدما تجاوروا بعرب سويد[7] الذين كانت لهم خبرة في تربية الخيول وتحسين أنسابها، ووصف ابن خلدون الجياد التي أهداها محمد بن عبد القوي للسلطان المريني أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، "وفي سنة خمس وسبعين أهدى له

(1) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص179.
(2) الحموي، معجم البلدان، مج1، ص426.
(3) ابن حوقل، صورة الأرض، ص72.
(4) بوزيان الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد، ص213.
(5) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص110.
(6) الإدريسي، المصدر نفسه، ص110.
(7) مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص179.

محمد بن عبد القوي أمير بني توجين وصاحب جبال الونشريس أربعة من الجياد انتقاها من خيل المغرب كافة"[1] وهذا يعني أن بنو توجين كانوا يهتمون بتحسين أنسابها وأنواعها.

ولم يكن اهتمام بني توجين بالخيل من أجل المحافظة على نسبها فحسب بل أن أهميتها تكمن في الناحية العسكرية إذ كانت وسيلة لا يستغنى عنها في الجيش ولعل هذا يجعلنا نفسر سبب الموجات العسكرية التي كان يرددها بنو زيان على بلادهم، فهو بهدف ما يغنمونه من خيل بني توجين[2]، وكذا استنجاد بني حفص بهم في الحملة الصليبية على تونس 668هـ إضافة إلى احتفاء بني مرين ببني توجين والاستظهار بهم في صراعهم العسكري مع بني زيان، هذا وقد وصف الوزان كثرة عددهم "ويبلغ عدد المقاتلين فيه نحو عشرين ألفا وخمسمائة فارس"[3].

- صناعة النسيج :

ويذكر ابن خلدون في مقدمته "أما العمران البدوي أو القليل، فلا يحتاج من الصنائع إلا البسيط خاصة المستعمل في الضروريات[4]، فالمجتمعات البدوية تألف تألف العيش على ما هو ضروري وعليه فالصنائع التي تتميز بها هذه المجتمعات هي الصنائع البسيطة[5].

---

(1) ابن خلدون، العبر، مج 13، ص403.

(2) وإن مثل هذا التفسير لأهمية الخيول قد نوه إليه عمرو موسى في كتابه النشاط الاقتصادي للمغرب لإسلامي خلال القرن السادس هجري عندما فسر "سبب فتح عبد المؤمن بن علي لتلمسان قبل فتحه لمراكش هو اعتمادهم على خيل المرابطين بتلمسان فقد كانت الخيول جزءا أساسيا من خراجهما وإسهامهما في حملات الموحدين على الأندلس"، أنظر: عز الدين عمرو موسى، المرجع نفسه، ص199.

(3) الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص45.

(4) ابن خلدون، المقدمة تحت عنوان "في أن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته"، ص298.

(5) فاطمة بلهواري، النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ/10م، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي الوسيط، وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، السنة الجامعية 2004-2005، ص160.

تعد صناعة المنسوجات من ملابس وثياب وأغطية من الصناعات الاستهلاكية، وهي أقدم الصناعات التي نشأت مع الإنسان، وكانت وليدة حاجته في وقاية نفسه من العوامل الجوية [1]، وقد كانت من اختصاص البوادي التي كان أهلها يعتمدون على الرحلة الموسمية وإن مساكنهم عبارة عن خيم من الوبر والصوف، تقوم بنسجها المرأة، فكل عائلة تهتم بهذا النوع من الصناعة، حيث تقوم الأسرة بنسج ما تحتاج إليه من الملابس، وقد ساعد الاختصاص البدوي لبني توجين من بروز هذه الحرفة لديهم وهذا لتوفر المادتين الأوليتين هما القطن والصوف. أما بالنسبة للصوف، فيعود إلى الطابع البدوي لبني توجين في أصلها منتجعة ترعى فيها المواشي، بينما القطن فقد توفر من المناطق المجاورة بها الغنية بمادة القطن مثل مراكش وفاس (من خلال هدايا بني مرين، بني توجين)[2]، فكان بنو توجين يقومون بصناعة البسط (الطنافس) الملوكية[3] الفائقة[4] وهذا دلالة على جودتها "فلا يذكر أن البلاد الشرقية والغربية عرفت بهذه الصناعة إلا في جبال الونشريس عند بني توجين"[5]. وقد كانت هذه البسط ضرورية في الحياة الحياة فتفرش بها المجالس[6].

كما كانوا يقومون بصناعة الحنابل التي كانت تعرض من بين السلع في الأسواق الزيانية وقد تميزت باختلاف ألوانها الزاهية منها ذات اللون الأحمر والأخضر والأزرق والأبيض[7].

---

(1) فاطمة بلهواري، المرجع نفسه، ص179.
(2)حساني مخطار، الدولة الزيانية، ج2، ص134.
(3) ابن سعيد، كتاب الجغرافية، ص141.
(4) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرة ومذيلة بتصويبات وفهارس تصويبية، القاهرة، مطابع كوستاتسوماس وشركاهن د.ط، د.ت، ج5، ص174.
(5) عز الدين عمر موسى، المرجع نفسه، ص221.
(6) عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص92.
(7) حساني مختار، المرجع نفسه، ج2، ص178.

وليس من السهل حصر استعمالات النسيج فمنها الملابس على شتى أنواعها والخيام على اختلافها والأثاث المنزلي كالفراش والوسائد والستائر[1].

- **المعادن :**

توفر المغرب الأوسط على بعض المعادن التي سمحت بقيام صناعة معدنية، فقد كان الحديد في مجانة وبونة وبجاية والنحاس بجبل كتامة والزئبق في جبل أرزيو[2]، كما توفرت جبال الونشريس على معدن التوتياء (الزنك)[3]، وإن ذكر هذه المعادن في كتب الرحالة الجغرافيين يدل على أن إنتاجها كان معتبرا وهي إن لم تكن تسمح بقيام صناعة تغزو الأسواق الخارجية إلا أنها كانت كافية لقيام صناعة تسد الطلب المحلي[4]، إضافة إلى وجود مناجم الحديد والرصاص والزنك بالمدية[5].

والتي كانت تساعدهم على صناعة السيوف والعتاد الحربي الذي من شأنه يدعم الفرسان المشهودة لهم بالشجاعة والبسالة وإلى كثرة عددهم فيذكر حسن الوزان أن عددهم يفوق 20 ألفا مقاتل[6]، وبينما يذكر مرمول أنهم لا يزيد عن خمسمائة ألف من المقاتلين من بينهم ألفان و500 فارس[7] وهذا التناقض راجع للحروب التي خسر فيها بنو توجين عددا من الجيوش.

---

(1) عبد الكريم جودت، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، ص90.
(2) عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص84.
(3) الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص45.
(4) عبد الكريم جودت، المرجع نفسه، ص84.
(5) سعد محمد رعد، العمران في مقدمة ابن خلدون، ص374.
(6) الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص45.
(7) مرمول كربخال، إفريقيا، ج2، ص361.

- الجوانب العمرانية للإمارة:

العمران ضد الخلاء، وهو من العمارة والتعمير، ويقصد به ابن خلدون الاجتماع البشري الذي يتم بـــ "التساكن والتنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش"[1].

هذا يقسم ابن خلدون العمران إلى عمران بدوي وهو سكنى الخيام والجبال والحلل المنتجعة في القفار[2] وأطراف الرمال، وعمران حضري وهو الذي بالأمصار والمدن والقرى والمداشر[3].

أما بنو توجين فعمرانهم كما يصفهم ابن خلدون "فصار له مالك بدوي لم يفارق فيه سكنى الخيام ولا أبعاد النجعة ولا إيلاف الرحلتين"[4] وهذا النوع من العمران راجع لطابع البداوة والتي بدورها يصنفها ابن خلدون إلى صنفين.

والبداوة عند ابن خلدون حالة عامة تشمل المستقرين وأنصاف الرحل والرحل مع تفاوت بينهم في المستوى المعيشي، فالمستقرون يسكنون القرى ويتميزون عن سكان المدن في بساطة سكناهم وأحوالهم الاجتماعية، أما أنصاف الرحل فإنهم سكان الجبال المجاورين لبعض السهول التي تمارس زراعة الحبوب، ومنها الرحيل المحدود في المساحات الضيقة والمنظم حسب الفصول ولا يتعدى رحلتين في السنة، وهو رحيل خاص بالسكان المعتمدين على تربية المواشي والبقر في حين أن الرحل الحقيقيين وهم الذين يجوبون القفار الواسعة ويعيشون أساسا من تربية الآبل[5].

وعلى هذا الأساس اختلف العمران في هذه البلاد على حسب طبيعة الأرض.

---

(1) محمد عابد الجابري، العصبية والدولة، ص298.
(2) الحلل المنتجعة في القفار: أي الخيام المتنقلة في الصحراء وأصل العبارة من "انتجع القوم" بمعنى ذهبوا يطلبون الكلأ في موضعه والاسم منه النجعة، محمد الجابري، المرجع نفسه، ص289.
(3) محمد الجابري، المرجع نفسه، ص298.
(4) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 13، ص321.
(5) عبد المجيد مزيان، المرجع السابق، ص237.

ورغم أن ابن خلدون يوضح طبيعة هذا الإقليم عند وصفه لسكن أمير بني توجين في قوله: "لم يفارق فيه سكنى الخيام" أي أنهم كانوا يتخذون من الخيام مساكن لهم فبماذا نفسر بناءهم للحصون والقلاع؟

- الحصون والقلاع:

رغم طابع البداوة الذي اختص بها بنو توجين إلا أنهم حاولوا بناء بعض القلاع والحصون كحصن مرات حصن توكال وقلعة بني سلامة إلى جانب استيلائهم على حصن تافركينت وحصن المدية.

ومما يلاحظ عن مراكز إقامة هذه الحصون فإننا نجد أنها تحيط بحدود هذه الإمارة من الجهات الثلاث الشمالية والشرقية والغربية وهذا نظرا للدور الفعال الذي تؤديه هذه الحصون والقلاع المتمثل في رد هجمات العدو والدفاع عن سكانها إذ يعدها ابن خلدون من الأمور التي يجب مراعاتها في أوضاع المدن "فأما الحامية من المضارب فيراعى لها أن يدار على منازلها جميعا سياج الأسوار"[(1)] هذا وقد شيدت هذه الحصون في مناطق إستراتيجية على المرتفعات المتنوعة من جبال الونشريس كحصن مرات والمدية وإما باستدارة بحر أو نهر كحصن تافركينت ومنداس.

غير أنه من الصعب تحديد مواقع هذه الحصون، وهذا راجع إلى أن المنطقة شهدت صراعات سياسية وعسكرية بين بسط السلطة والنفوذ من هجمات زيانية واكتساحات مرينية فاندثرت معالمها خاصة وأن مثل هذه المراكز التي تعتبر القلب النابض للدولة وخطها الدفاعي، ففقدت بذلك معالمها الأثرية.

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص323.

*** حصن تافركنيت :**

ضبطه الإدريسي بفتح التاء والفاء وسكون الراء مع فتح الكاف وهي المدينة التي تقع في بلاد بني توجين من الجانب الشمالي الغربي للونشريس[1] ، وتضم حصنا في شمالها مطل على الساحل ويصفه الإدريسي بأنه "حصن منيع صغير أربعون ميلا" على البحر[2] ونظرا لموقعه الاستراتيجي نفسر تردد هجمات بني زيان على هذا الحصن أكثر من مرة، ولم يتمكن بنو زيان من الاستحواذ عليه إلا بعد مداخلة قائده غالب الخصبي[3] لعثمان بن يغمراسن وتنازل له عنه وذلك بعد وفاة محمد بن عبد القوي وظهور نزاعات بني عبد القوي.

*** حصن مرات :**

فإن هذا الحصن قد اختطه منديل المغراوي فبنى منه القصبة ولم يكمله فأكمله محمد بن عبد القوي بعده[4]، ويشير دي سلان إلى أن هذه المدينة تقع بين تاقدمت والونشريس[5]، وهو الحصن الذي لقي فيه موسى بن محمد بن عبد القوي حفته فيه بعد أن ثار عليه أهلها.

*** حصن المدية :**

نسبة إلى المدية وهي إحدى فروع صنهاجة وقد اختط هذا الحصن بلكين بن زيري، وعندما استولى عليه محمد بن عبد القوي أنزل به أولاد عزيز من حشمه فكان لهم دور في مدافعتهم لهذا الحصن والمحافظة على ولائهم لبني عبد القوي حتى آخر أيامهم، ثم استقل بها أولاد عزيز عن الدولة بعد أن انفصلت إلى أقاليم فكانت لهم بها إمارة.

---

(1) Decilane, Histoire du Bérbère, p529. l'Africa romana.., p492

(2) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص190.

(3) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص190.

(4) ابن خلدون، المصدر نفسه، مج 13، ص133.

(5) Decilane, Op.cit, p517.

*** حصن توكال :**

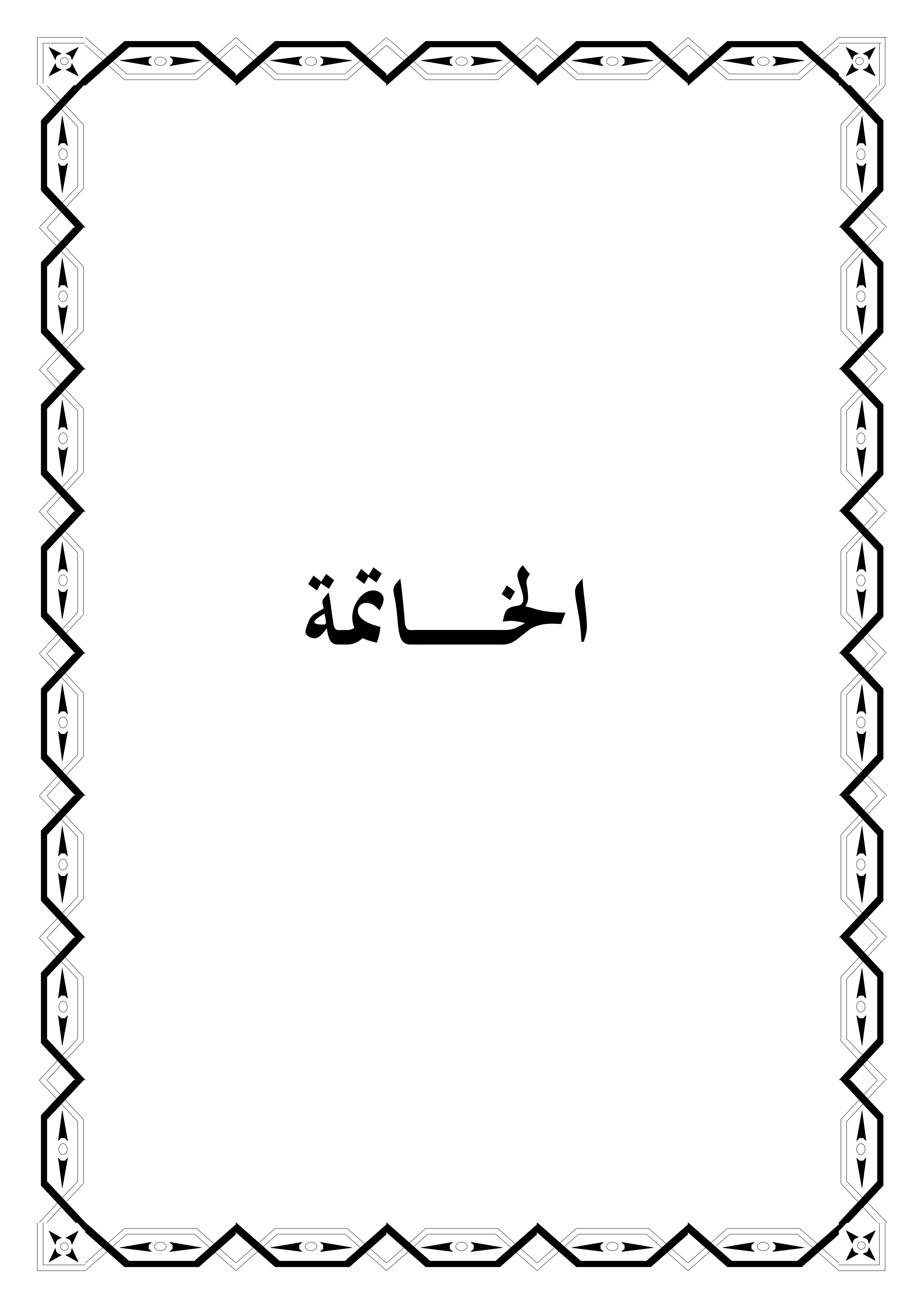
يذكر أحمد بوزيان أنه حصن يقع بولاية تسمسيلت ببلدية سيدي عابد، ونظرا لمناعته فقد لجأ إليه محمد بن يوسف الثائر الزياني ولم يتمكن أبو تاشفين من اقتحامه إلا بمداخلة عمر بن عثمان الذي كان على دراية بمكامنه[1].

*** قلعة تاوغزوت:**

أما عن هذه القلعة فهي تقع في الجنوب الغربي لمدينة تيارت على بعد 6 كيلومترات، وقد سكنها بنو يدللتن، فقام سلامة بن علي كبيرهم باختطاط القلعة فوق قمة صخرية وهي بمثابة درع واق من إغارة المعتدين وبها الخلوة الشهيرة التي أقام بها العلامة ابن خلدون طول فترة كتابته للمقدمة بعدما استقبله أولاد عريف واعتذر للسلطان عن عجزه في قضاء خدمته، فأقام بها أربع سنوات ونترك ابن خلدون يصف مقامه بها "فأقمت بها أربعة أعوام متخليا عن الشواغل كلها، وشرعت في تأليف هذا الكتاب وأنا مقيم بها، وأكملت المقدمة فيه على ذلك النحو الغريب، الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة فسالت فيها شآبيب الكلام والمعاني على الفكر، حتى امتخضت زبدتها، وتألفت نتائجها"[2]، وهي تظل على السهل الأخضر ويشقه واد التات المنعرج، مما يضفي عليها منظرا خلايا يسحر العيون، وكانت قبل ذلك رباطا لعرب سويد، ثم بعد ذلك توارث بنوه الرئاسة على هذه القلعة [3].

ومع النصف الثاني من القرن الثامن برزت شوكة العرب على بلاد زناتة فطمع عرب سويد في التغلب على مواطن بني يدللتن، فدافع عنها سليمان بن سعد، ثم صارت لهم بعدما أقطعهم إياها أبو عنان فارس المريني[4].

(1) ابن خلدون، العبر، مج 13، ص331.
(2) ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص187-188.
(3) ابن خلدون، العبر، مج 13، ص337-338.
(4) ابن خلدون، العبر، مج 13، ص337-338.



الخـــاتمة

الخاتمة

حاولت في نهاية هذا البحث الإلمام بجوانبه، فتطرقت من خلاله إلى نسب هذه القبيلة ومسارها السياسي قبل اعتلائها لمناصب الملك، لنستعرض بعدها الأطوار التي مرت بها هذه الإمارة من مرحلة النشأة والتأسيس وصولا إلى طور الفتن والانقسامات، ومما أوليناه الأهمية البالغة هو الدور الفعال الذي أدته هذه الإمارة في تفعيل العلاقات والصراعات التي كانت سائدة خلال هذه الفترة الزمنية أي ما بعد سقوط العاصمة الموحدية بمراكش 668هـ.

وما يمكن استخلاصه من هذا البحث هو جملة من النتائج لعل أهمها:

برزت الزعامات الزناتية منذ القرون الأولى من الفتح الإسلامي بالمغرب الإسلامي ما بين إمارات مغراوية وأخرى يفرنية منافسة للسيادة الصنهاجية، ولم يكد نجم هذه الزعامات يضمحل مع ظهور المرابطين والموحدين، حتى نبض فيهم عرق السيادة مع نهاية عهد الموحدين لتظهر في بداية القرن السابع الهجري على الساحة السياسية دول زناتية كدولتي بني مرين 668هـ بالمغرب الأقصى وبني زيان 633هـ بالمغرب الأوسط، هذه الأخيرة التي قاسمتها في هذا الإقليم كل من إمارتي بني توجين بالونشريس وإمارة بني منديل المغراوية بشلف.

والدراسة حول بعض القبائل الزناتية التي تسلمت زمام السلطة بعد الموحدين يصعب تحديد مواطنهم ومنازلهم قبل تأسيسها للملك كبني توجين التي تعددت مجالاتها، وذلك راجع إلى النظام القبلي القائم على حياة الترحال فهو عصب الحياة الاجتماعية والسياسية لديهم، فقد ظل بنو توجين يترددون ما بين مواطنهم التلية بنواحي الونشريس لتطرق قوافلهم أبواب الصحراء من بلاد الزاب ومصاب.

استطاع بنو العباس بن عطية بن دافلتن من توحيد قبائل وبطون قبيلة بني توجين تحت رئاستهم، إذ تمكن عبد القوي بن العباس من استغلال الظروف المحيطة واعتمد على سياسة التغلب لتنصيب أسس الملك، فاستولى على جبال الونشريس والأمصار والمدن المجاورة فاتسع نطاق ملكه وتمكن من إقامة إمارة بها باعتراف من السلطة الحفصية سنة 640هـ، وقد حافظ بنوه على كينونة دولتهم بفضل مواصلة جهود ابنه محمد بن عبد القوي الذي ازدهرت الإمارة وتوسعت في عهده معتمدا في ذلك على سياسة تغيير الولاء وتوجيهه نحو السلطة الأقوى على بلاد المغرب الأوسط لضمان بقاء حكمهم على مواطنهم، فتارة نحو السلطة الحفصية كمشاركتهم مع السلطان أبي زكريا الحفصي في حملته على تلمسان سنة 640هـ، وتارة أخرى نحو القوة المرينية المهيمنة على المغرب الأوسط، إذ انضم محمد بن عبد القوي في الحروب التي كانت توجهها السلطة المرينية على المغرب الأوسط وضرب الحصار على تلمسان عدة مرات فكانت لهم مشاركات في كل من واقعتي إيسلي الثانية سنة 670هـ ثم موقعة خرزوزة سنة 680هـ.

إلا أن أشرف مهمة أنجزها محمد بن عبد القوي ويشهدها له التاريخ هو تلبيتهم لنداء الجهاد ضد الحملة الصليبية على تونس 668هـ ومواقفهم البطولية المشهودة لهم.

وقد تمكن محمد بن عبد القوي من تحقيق إنجازات توسعية من وراء هذه السياسة ونال موارد مالية ضخمة نتيجة مشاركاته وإمداداته العسكرية لهذه القوى السياسية.

إن تنازع بني عبد القوي على الرئاسة بعد وفاة محمد بن عبد القوي واشتداد وطئة سلاطين بني زيان على بلادهم كانا العاملان الأساسيان في دخول الإمارة مرحلة الفتن والانقسام والتي أدت إلى استئصال الرئاسة من بني عبد القوي وحصرها على فرع من فروع هذه القبيلة والمتمثلة في بني تيغرين التي

استقلت بالملك بجبال الونشريس لتظهر الفتن والتنافس بين بطونها على الأقاليم، مما سهل سقوطها في يد بني مرين وخضوعها للهيمنة المرينية ليأتي نفوذ القبائل العربية بعد السبعين من المائة الثامنة وتصبح جل الأمصار والنواحي في يد عرب سويد وينحصر ملكهم بجبال الونشريس.

لم تكن هذه الإمارة بمنأى عن الأحداث الخارجية في المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، إذ كانت لها أدوارا متباينة الحجم في التفعيل السياسي وحتى الحضاري بين الكيانات السياسية القائمة آنذاك وأضحت تشكل خطرا وعائقا في سبيل تمهيد وبسط النفوذ على المغرب الأوسط سواء الزيانية منها أم المرينية.

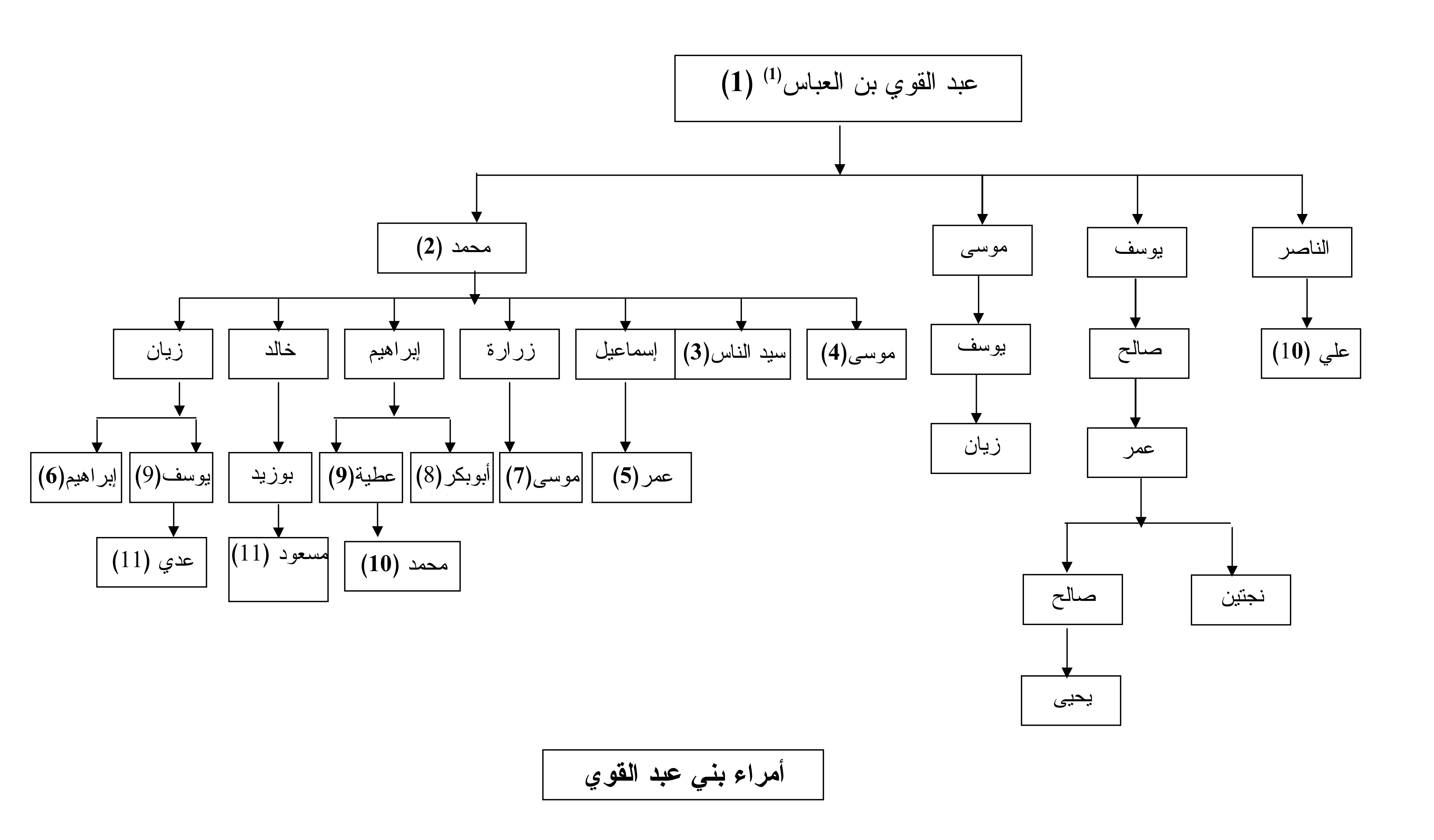
أما عن الدولة الزيانية فقد كانت تشارك في الاعتداءات الخارجية على السلطة الزيانية كما كانت هذه الإمارة محطة للجوء الثائرين الخارجين عن سلاطين دولة بني زيان والالتفاف حولهم كثورة محمد بن يوسف، ثم ثورة أبي زيان القبي، فهي بذلك كانت رقما مهما في حسم أي صراع عسكري أو سياسي.

وفيما يخص حجم هذا الدور فقد تمثل في القوة العسكرية التي كانت تغيّر في موازين القوى بانضمامها إلى المعارك الشهيرة التي اشترك فيها بنو توجين السالفة الذكر، فقد ركز أمراء بني توجين اهتمامهم بتربية الخيول وانتقاءها وبالإضافة إلى تميزهم بصفات الشجاعة والفروسية كما يصفهم ليون الإفريقي ومرمول كربخال في مؤلفاتهم.

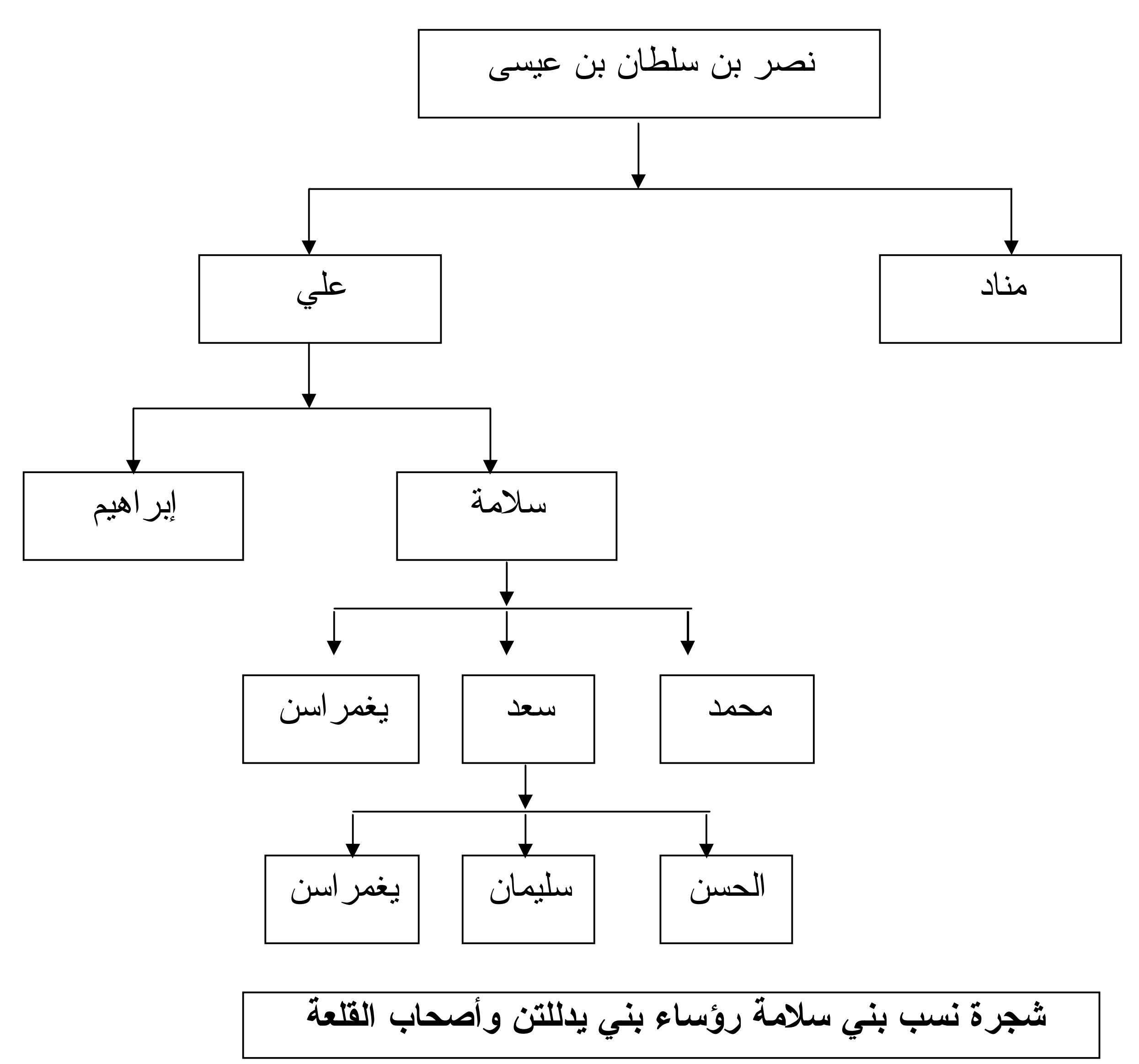
هذا وقد أثر الدور السياسي للإمارة وعدم استقرار الأوضاع الداخلية والخارجية منها عن قصورها في ممارسة الأنشطة الاقتصادية والعمرانية منها فكان للتركيبة البشرية والبيئة الجغرافية عاملا في ذلك، وكانت لزراعة الحبوب وتربية المواشي والخيول نصيب ضمن أقاليمهم، كما كانت لها جوانب عمرانية انحصرت على بناء الحصون والقلاع كقلعة تاغزوت وحصن مرات وتافركينت.



الملاحـــــــق



(1) هو عبد القوي بن العباس بن عطية الحيو بن مناد بن العباس بن دافلتن بن أبي بكر بن الغلب. أنظر ابن خلدون، العبر، مجلد 13، ص334.



شجرة نسب بني سلامة رؤساء بني يدللتن وأصحاب القلعة

أنظر ابن خلدون، مجلد 13، ص 338 .



قائمة المصادر والمراجع



قـــائـــمـــة المصادر والمــــراجـــع

- قائمة المصادر :

1- ابن بكار (بلهاشمي)، كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون، الجزائر، د.ط، 1381هـ/1961م.

2- ابن أبي الضيّاف (أحمد ت1291هـ) إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الآمان، تحقيق: لجنة من كتبة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1396هـ/1976، ج2.

3- ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد أبي القاسم الرعيني القيرواني)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، د.ط 1961م.

4- ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي ت726هـ)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط، 1972م.

5- -------، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، منشورات دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، د.ط 1972م.

6- ابن الأثير(علي بن محمد بن عبد الكريم الجزيري ت638هـ)، الكامل في التاريخ، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء، دار الكتاب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1418هـ/1988م، ج 8.

7- ابن الأحمر (أبو الوليد اسماعيل ت810)، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1421هـ/2001م.

8- ------، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1411هـ/1991م.

9- ------، النفحة النسرينية واللمحة المرينية، تحقيق: عدنان محمد آل طعمة، مطبعة الشام، دمشق، د.ت، 1992م.

10- ابن الشّماع (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب تونس د.ط، 1984م.

11- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ت456هـ)، جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة وضبط أعلامه نخبة من العلماء بإشراف منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1418هـ/1998م.

12- ابن خلدون (أبو زكريا يحيى ابن محمد ت780هـ)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد، حاجيات، الجزائر، المكتبة الوطنية، د.ط، 1400هـ/ 1980.ج1

13- ------، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، نشره ألفردبل، مطبعة فونطانة الأخوين وشركائهما الشرقية، الجزائر، د.ط، 1328هـ/1910م، ج2

14- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت808هـ/1405م)، رحلة ابن خلدون عبد الرحن بن محمد الحضرمي الإشبيلي عارضها بأصولها وعلق حواشيها محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م.

15- --------، المقدمة، دار صادر، بيروت. الطبعة الاولى، 2000م.
16- --------، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، 1418هـ/1998م، مج 11-مج12-مج13-مج14.
17- ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى ت685هـ)، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، 1982م.
18- ابن عذارى (أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي كان حيا سنة712هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: محمد ابراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنيب، عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الرباط، الطبعة الاولى، 1406هـ/1985م. قسم الموحدين.
19- --------، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ح.س.كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، 1983م. ج1، ج2.
20- --------، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ح.س.كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983 ج3.
21- ابن قنفذ القسنطيني (أبو العباس أحمد بن حسن الخطيب ت810هـ)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1968م.

22- ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد الخطيب، ت 781هـ)، المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م.
23- أبو الفضل (جمال الدين ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م، مج4 مج2.
24- أبو راس المعسكري (ت1238هـ)، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق: محمد بوركية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، 2007-2008م.
25- الإدريسي (محمد بن عبد العزيز الشريف ت548هـ)، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق: محمد حاج صادق ديوان، الجزائر، د.ط، 1983م.
26- الاصطخري (أبو إسحاق إبراهيم ت339هـ)، كتاب المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد الله ومحمد شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، 1961م.
27- البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز ت487هـ)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت.
28- التنسي (محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ ت 899هـ)، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه: محمود بوعياد، المكتبة الوطنية، الجزائر، د.ط، 1405هـ/1985م.
29- الحميري (محمد بن عبد المنعم)، روض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984م.

30- الراشدي (أحمد بن عبد الرحمن الشقراني)، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، 2000م.
31- الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن اللؤلؤ كان حيا894هـ)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م.
32- الزهري (أبو عبيد الله محمد بن أبي بكر المتوفي في أواسط القرن السادس المجري)، كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، د.ت.
33- السلاوي (أبو العباس أحمد الناصري)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، اعتنى به محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م، مج1.
34- شهاب الدين (ياقوت الحموي، ت626هـ)، معجم البلدان، قدمه محمد عبد الرحمن المرشلي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، د.ط، 1416هـ/1996، مج1 مج4.
35- العمري، (شهاب الدين ابن فضل الله ت749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، يصدره :سزكين بالتعاون مع علاء الدين جوخوشا. ايكهار دنويباور. منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ألمانيا د.ط، 1408هـ/1988م. السفر الرابع.
36- القلقشندي (أبو العباس بن علي ت821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ومذيلة بتصوييات وفهارس تصوييية، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، القاهرة، د.ط، د.ت، مج5.

37- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1399هـ/ 1979م.

38- مؤلف مجهول، كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب. نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد. دار الشؤون الثقافية. د.ط، بغداد، 1968.

39- مرمول كربخال، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد زنيبر محمد الأخضر، أحمد توفيق أحمد علوان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الرباط. د.ط،1984م.ج1.ج2.

40- المزاري (الآغا بن عودة)، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانبا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م، ج2.

41- المقدسي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ت380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق ووضع حواشيه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م.

42- الوزان (حسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي ت957هـ) وصف إفريقيا ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983.ج1.ج2.

- قائمة المراجع :

43- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار السلمى، الرباط، الطبعة الأولى، 1384هـ/1965م.

44- أبو ضيف (مصطفى)، القبائل العربية في بلاد المغرب حتى عصر بني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1982.

45- أحمد بن عامر، الدولة الحفصية، دار الكتب الشرقية، تونس، د.ط، 1972م.

46- برانشفيك (روبار)، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15 ميلادي، ترجمه إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1988.ج1.ج2.

47- بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1397هـ/1977م.

48- بوزيان (أحمد)، تيارت في ظل الإسلام، دار الهدى للطباعة، الجزائر، د.ط، 2006.

49- الجابري (محمد عابد)، العصبية والدولة عند ابن خلدون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الخامسة، 1992.

50- جودت (عبد الكريم)، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت.

51- الجيلالي (عبد الرحمن)، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة السابعة 1415هـ/1991م، ج1- ج2.

52- -------، تاريخ المدن الثلاث الجزائر، المدية، مليانة، وزارة الثقافة، مديرية الفنون والآداب، الجزائر، الطبعة الثانية، 2005.

53- حاجيات (عبد الحميد) أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، د.ط، 1394هـ/1974م.
54- الحريري (محمد عيسى)، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م)- (869هـ/1465م)، الكويت، د.ط، 1985.
55- الدراجي (بوزياني)، القبائل الأمازيعية أدوارها ومواطنها وأعيانها، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1999، ج1.
56- --------، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1993.
57- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر (16-20م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ج1.
58- سعيد (محمد رعد)، العمران في مقدمة ابن خلدون، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 1982.
59- السليماني (أبو عبد الله الأعرج)، تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبد القادر عن كتاب الشماريخ، تحقيق: حساني مختار، المكتبة الوطنية، الجزائر، د.ط، د.ت.
60- الطمار (محمد بن عمرو)، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1984.
61- العامري (محمد الهادي)، تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الأزهار والذبول، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د.ط، 1974.

62- عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1981م، ج2.
63- عبيد (بوداود)، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (13-15م) دراسة في التاريخ السوسيوثقافي، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2003.
64- العروسي (محمد)، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، 1982.
65- -------، السلطنة الحفصية وتاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، 1406هـ/1986م.
66- العروي (عبد الله)، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي للعرب، بيروت، الطبعة الثانية، 2000، ج 2.
67- عز الدين (عمر موسى)، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الثانية 1424هـ/2003م.
68- غلاب (عبد الكريم)، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م، ج2.
69- ف.بيتنفلد، جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، ترجمة: عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت.
70- فيلالي (عبد العزيز)، تلمسان في العهد الزياني، دار موفم للنشر والتوزيع، الجزائر،د.ط، 2002.ج1.ج2.

71- كولان (ج.س)، الأندلس، ترجمة: إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، 1980م.

72- مؤنس (حسين)، تاريخ المغرب وحضارته، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1992/1412، مج 2.

73- المدني (أحمد توفيق)، كتاب الجزائر، دار المعارف، الجزائر، الطبعة الثانية، 1382هـ/1963م.

74- الميلي (مبارك) تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، د.ت، ج2.

75- نصر الله (سعدون)، تاريخ العرب السياسي في المغرب من (20-640هـ / 798-142م)، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2003.

- قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

76- Atallah Dhina, le royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou hamou Moussa 1er et d'Abou Tachfin 1er, Office des publications universitaires, Alger.

77- Charles Emmanuel Dufourcq, L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siècles, France, Université de Bordeaux et casa de velazquez, 1966.

78- Georges Marçais, les arabes en Berbérie de XI au XIV siège, ernest Leroux, Paris, Braham édition.

79- Le Baron Deslame, histoire de berbères, Paris. Librairie orientaliste, 1982.

- **قائمة الرسائل الجامعية:**

80- محمد بن معمر، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى من نهاية القرن الثاني إلى القرن السادس الهجريين. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة وهران، السنة الجامعية 2001-2002.

81- صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية (633هـ-791هـ)، رسالة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2003-2004.

82- شباب عبد الكريم، صورة المجتمع في المغرب الأوسط خلال القرنين 7-8 هجري/ 13-14م من خلال كتاب العبر لعبد الرحمن ابن خلدون، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارية الإسلامية، وهران، السنة الجامعية، 1423-1424هـ/2003-2004م.

83- فاطمة بلهواري، النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن ارابع الهجري/10م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2004-2005.

- **قائمة المجلات :**

84- شارل إيمانويل ديفورك، مكانة الونشريس والجهات المجاورة له في تاريخ المغرب الأوسط عبر الألفية الأولى من التاريخ الهجري، الفكر الإسلامي، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1400هـ/1980م.

85- عبد الحميد حاجيات، السلطان أبو حمو موسى الثاني سياسته وآدابه (2)، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب، مصلحة الطباعة (المعهد التربوي)، الجزائر، جويلية، 1969، العدد 07.

86- عبد الحميد حاجيات، السلطان أبو حمو موسى الثاني-سياسته وآدابه (4)، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب، مصلحة الطباعة المعهد التربوي الوطني، الجزائر، جويلية، 1971، العدد 09.

87- محمد بن معمر، زيري بن عطية المغراوي ومشروع الدولة الزناتية في المغربين الأوسط والأقصى (368-391هـ)، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي "مصادر وتراجم"، وهران، 1425هـ/2003-2004م، العدد 5/4.

88- محمد بوركبة، جوانب من مخطوط "قلعة بني راشد للشيخ أبي عمر بن عثمان القلعي " المجلة الجزائرية للمخطوطات، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية، وهران، الجزائر، 1424هـ/جوان 2003، العدد الأول.

89- المهدي البوعبدلي، الجوانب المجهول من ترجمة حياة الإمام أحمد بني يحيى الونشريسي، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، السنة التاسعة، 1400هـ/1980م، العدد، 84/83.

90- -------، لقطات من تاريخ مملكة الونشريس الثقافي والسياسي والحضاري في عهد دولة بني توجين، الفكر الإسلامي، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1400هـ/1980م.

91- يحيى بوعزيز، المراحل والأدوار والتاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية (1236-1554هـ) مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، السنة الرابعة، 1395هـ/1975م)، العدد 26.
92- ---------، المقاومة في جبال الونشريس وحوض الشلف وجبال الظهرة ضد الاستعمار الفرنسي (1840-1864)، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، السنة التاسعة، 1400هـ/1980م، العدد، 84/83.



فهرس الموضوعات

– فهرس الموضوعات

الصفحة

الفــصل الثاني

الدور السياسي للإمارة وبعض جوانبها الحضارية